الحروب السرية الفلسطينية الإسرائيلية

عبدالله عيسى

المصيدة



المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المصيدة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/٨
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع: عمان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى
١٩٩٠

الحروب السرية الفلسطينية الإسرائيلية

عبد الله عيسى

المصيدة

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

المصيدة

مد « ابو مروان » يده متثاقلاً الى سماعة الهاتف وهو يجول بعينيه الزائغتين في ارجاء مطعمه الصغير . رفع السماعة وقال بصوت متعب : ألو . نعم . كما تريد ! واعاد السماعة الى مكانها ، ثم نادى ابنه « مروان » الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره قائلاً : « تعال يا بني . خذ هذه الصينية وضع عليها طبقاً من الفول وآخر من الحمص وبعض الفلافل . واذهب بها الى الضابط « جان » . . لعنة الله عليه » .

لم ينافش الفتى والده ، فقد تعود ان يرسل الطلبات الى المكاتب المجاورة ومن ضمنها مركز المخابرات الاسرائيلية الذي لا يبعد عن « مطعم السلام » في مدينة جنين سوى امتار قليلة . وكان الفتى معروفاً لدى المركز . فكل الضباط يشترون طعامهم من مطعم والده ، ويسمحون له بالدخول الى مكاتبهم دون التدقيق في هويته . ولم يحاول والده العجوز ان يدخل هذا المركز يوماً وكان لا يخفي كراهيته للعاملين فيه ، لكنه كان يرسل اليهم ما يريدونه مكرهاً .

وفي اوائل ١٩٧٢ كان ضابط المخابرات « جان » قد بدأ عمله في هذا المركز في جنين في الضفة الغربية المحتلة . وكانت عيناه تبحثان في كل مكان عن فريسة مثل الذئب الجائع .

وكضابط يتولى ادارة هذا المركز في وسط عربي معاد اراد ان يخترق الوجود الفلسطيني . لكن من اين يبدأ ؟ وكان لا بد له من ايجاد المفتاح المناسب للدخول الى الأوساط الوطنية الفلسطينية لاختراقها . وفي احد الأيام وعلى غير عادته استقبل « مروان » بترحاب وتودد وطلب منه ان يجلس ليتحدث معه . وبعد ان وضع الفتى طبق الفول على طاولة الضابط جلس ببراءة منتظراً ان يفهم ما يريده منه ، ففوجىء به وهو يسأله عن صحته واحواله ومعيشته وعائلته ووالده والمطعم . وبعد الانتهاء من الأسئلة التي لم يفهم « مروان » مغزاها ، تناول « جان » من درج مكتبه مبلغاً صغيراً من المال كان بالنسبة الى فتى لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره يعتبر كبيراً ، وقال له : هذا المبلغ لك . فأبدى « مروان » دهشته وقال: لقد دفعت ثمن الطعام ، فماذا افعل بهذا المبلغ ؟ ابتسم الضابط بخبث وقال : هو لك وليس للمطعم ، فاذهب به الى السينما او النزهة ، كما تشاء : فطعامك اليوم لذيذ وانت تتعب بالمجيء الى هنا وتستحق كل خير . وتردد الفتى قليلاً ، لكنه في النهاية تناول النقود ووضعها في جيبه وقال في نفسه : سأذهب في المساء الى السينما . وقال للضابط : شكراً لك.. وهمّ بالخروج فسمع صوت الضابط يقول ضاحكاً : على فكرة ، أفضل لك ان الا تخبر والدك حتى يأخذ النقود منك ، فهي مكافأة لك . وهز مروان رأسه موافقاً وقال : ولا يهمك .

كان « مروان » لا يزال منتظماً في دروسه في الصف الثالث الاعدادي . وفي الوقت نفسه يمقت العمل في مطعم والده لكنه كان يساعده مكرهاً . وتوالت الأيام وضابط المخابرات

الاسرائيلية « جان » يعطي « مروان » مبالغ مالية ، فتبدلت نفسيته وبات يرغب العمل في المطعم . وفي هذا الوقت كان الضابط يدرس شخصية « مروان » عن قرب من حيث حالته الاجتماعية والمادية وحالة عائلته ومدى حبه للظهور والتزامه وسريته وحب المال . كان يبحث بالتحديد عن نقاط الضعف التي تمكنه من السيطرة عليه .

الخلايا الفلسطينية

في تلك الفترة ، أي بعد خمس سنوات من الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة بدأت الخلايا الفلسطينية تعمل بشكل فاعل ومنظم ، والعمليات الفدائية شكلت صدمة الى اسرائيل بعد احتلالها الاراضي العربية في حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، وحولت « الجيش الذي لا يقهر » المزهو بـ « النصر » في الأراضي العربية المحتلة الى جيش حذر ومتخوف من جراء الضربات الفدائية الموجعة . ومنذ حرب الأيام الستة بدأت المخابرات الاسرائيلية بفروعها المختلفة ، حملة منظمة ضد الرموز الوطنية في الداخل ، ومنظمة التحرير الفلسطينية في الخارج . وحاولت « الموساد » تبرير فشلها في حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ ، فوجهت كل طاقاتها لإيقاف العمليات الفدائية التي اثرت بشكل كبير على المجتمع الاسرائيلي وعلى مرافقه العسكرية والاقتصادية . ورافقت هذه المحاولات تحركات اخرى استهدفت الشعب الفلسطيني ورموزه الوطنية في الداخل . وكانت المخابرات الاسرائيلية تحاول وضع يدها على الخلايا الفدائية ، وكانت بالتالي تحاول اختراق الشباب الوطني عبر تجنيد عدد من العملاء سيستعملون

الترغيب والترهيب والابتزاز .

ففي ربيع ١٩٧٢ اثناء العطلة الدراسية ، ارسل الضـابط « جان » في طلب « مروان » وكان الأخير ينتظر هذا الاستدعاء لأن كـل زيارةَ الى مكتب الضـابط كانت تعـود عليه بمبلغ من المال . ولم يكن « مروان » يحاول تفسير اسباب عطاء « جان » معتبراً انه كرم حاتمي من الضابط . لكنه تساءل اكثر من مرة عن سبب كره ابناء بلده لـلاسرائيليـين في حين كـان « جان » يعامله بأدب ورقة ويعطي انطباعاً مختلفاً عما سمع .

ودخـل « مـروان » عـلى الضـابط « جـان » فقـابله الأخـير بـابتسامـة عريضـة سائـلاً : كيف حالـك يا مـروان ؟ أجاب مـروان : بخير . وكـالعادة تنـاول مبلغـاً صغيـراً من المـال ، وقـال : خذ هـذا المبلغ واحذر المشـاغبـين الـذين يـأتـون الى المطعم . فتساءل « مروان » مستغربـاً : أيوجـد مشاغبـون في المطعم ؟

● « جـان » : نعم ، كثيرون وسـأقـول لـك عنهم في مـا بعد .

- « مروان » : ولا يهمك . سوف احذر منهم .

● « جان » : على فكرة ، ماذا تفعل بالفلوس التي اعطيك اياها ؟

- « مروان » : اشتري بها اشياء وأذهب الى السينما .

ابتسم « جان » وقال : حسناً يا « مـروان » الآن اذهب مع السلامة . وخرج « مروان » من مكتب الضابط وهو يتحسس

الفلوس في جيبه قائلاً في نفسه : اليوم فيلم جديد . . بلا دراسة وبلا بطيخ اصفر . وقرر « جان » الذي لم يمض على تعيينه في جنين سوى عدة شهور ، بترشيح « مروان » ليكون واحداً من شبكة عملائه مستغلاً صغر سنه وسذاجته مستدرجاً إياه الى المصيدة . وكانت خطة الضابط افساد الفتى من خلال مده بالمبالغ المالية التي شكلت تحولاً خطيراً في حياته . من خلال هذا الاسلوب ساءت اخلاق « مروان » وبات يتردد على السينما ويهمل دروسه ، وكانت هذه بداية مرحلة الانحراف والانسلاخ عن بيئته ، ومحيطه المحافظ ولاحظ والده هذا التحول وبدأت مرحلة القلق . وكانت الصعوبة التي واجهت الضابط ايجاد المفتاح الذي يدخل به الى عالم الشباب الوطني في جنين ، فوجده في سذاجة الفتى ، الذي كان المدخل لتجنيد شبكة كبيرة من الشباب تعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية .

ومع انتهاء الامتحانات المدرسية ، جاءت نتيجة « مروان » سيئة للغاية مما أغضب والده الذي وبخه قائلاً : ماذا جرى يا ولدي ؟ فأنت طالب نشيط ومجتهد على حد معرفتي بك ! قال مروان محتجاً : اشغال المطعم لم تترك لي مجالاً للدراسة . فرد « أبو مروان » اعمال المطعم ام السينما والسهر في الليل ؟!

وقد نجح « جان » في افساد اخلاق الفتى بطريقة تدريجية ومنتظمة ، مما جعل والده يتهمه قائلاً : يبدو لي انك تسرق المال من المطعم وتذهب به الى السينما ، كما اشتكى زملاؤك كثيراً من انك تدخن ولا تهتم بدروسك . ورد مروان مدافعاً عن نفسه : وهل السينما ممنوعة بعد كل هذا التعب ؟ وانا لست سارقاً لكنني اوفر من مصروفي اليومي . قال « ابو مروان » :

اريدك مجتهداً في دراستك ، الا ترى حالتنا المادية ؟ من سيعيل الأسرة بعد وفاتي ؟

في تلك اللحظة وجد « مروان » الفرصة مناسبة ليطرح موضوعاً شكل مفترقاً خطيراً في حياته : بصراحة يا والدي ، أصبحت اكره الدراسة ، وسوف اترك المدرسة لمساعدتك في المطعم . وانت استرح في البيت لأنك صرت عجوزاً مريضاً . هنا أحس الوالد بأن ابنه بدأ ينحرف ، فغير اسلوبه معه املاً في اصلاحه ، وقال : لا يا ولدي ، سأعمل رغم الداء والشيخوخة ، وما عليك إلا متابعة دروسك واذا كان المطعم يسبب لك المتاعب فأتركه لي ولوالدتك ندير شؤونه .

ولكن « مروان » كان قد اتخذ القرار الخطير ، وراح يدافع عن هذا القرار قائلاً : لا اسمح بذلك فانتما اصبحتما كبيرين في السن ومن واجبي ان ارعاكما واخدمكما .

● « ابو مروان » : لكن مدرستك اهم من المطعم .

ـ « مروان » : ما عليك ، فليس كل الناس اساتذة ومدرسين .

هنا تدخلت الأم متوسلة اقناع ابنها بالعدول عن رأيه قائلة : ارجوك يا ولدي ان تبقى في مدرستك . إلا أنه حسم الموقف قائلاً : انتهى كل شيء ولن اتراجع .

الاختبار الصعب

في اليوم ذاته توجه « مروان » الى المطعم مزهواً بنفسه لأنه حقق ما اراد ، ظاناً ان « جان » سيتركه على هذه الحال . ولم

يكن ليعرف انه بقراره ذاك وضع قدمه على سلم الهاوية . وفي ذلك الصباح مر ضابط المخابرات بسيارته امام المطعم فرأى « مروان » منهمكاً في عمله ، فأوقف سيارته ونادى عليه . فترك الفتى عمله وركض باتجاه السيارة . سأله « جان » : ماذا جرى ؟ لماذا لم تذهب الى المدرسة ؟ اجاب « مروان » باستهتار : تركتها ، ومن الآن فصاعداً سأعمل في المطعم . . بلا مدرسة بلا هم ! وابتسم « جان » ابتسامة صفراء وودعه مدركاً ان خطته تسير بنجاح .

بعد ايام عدة ارسل الضابط في طلب الفتى، وبدا منزعجاً وهو يقول : يوجد مشاغبون في المطعم وقد رشقوا سيارتي بالحجارة اثناء مروري امام المطعم وانا لا اقبل ان يكون مطعمك مقراً لمثل هؤلاء . وكانت فرصة مناسبة تماماً كي يخطو الضابط خطوة جديدة فأضاف بلهجة آمرة : لقد قررت اغلاق المطعم . وبدا الارتباك واضحاً على الفتى وهو يقول : لكن لم ار احداً قد رشق حجارة على سيارتك . وفي تلك اللحظة ضرب « جان » بقبضته على طاولة المكتب وصاح في وجهه : هل انا كاذب ؟ انني رأيتهم وقد انطلقوا من خلف المطعم ورشقوا الحجارة ثم ركضوا مسرعين الى داخل الأزقة في المدينة .

حاول « مروان » ان يدافع عن نفسه قائلاً : وما شأني بهذا الموضوع ؟ فخفض « جان » حدة لهجته وقال : يا سلام ! لمن المطعم ؟ أليس لك ؟! ورد « مروان » : وماذا تريدني ان افعل ؟ تنهد « جان » وقد وصل الى ما يريده ، فقام من خلف مكتبه ووضع يده على كتف مروان ، وهو يقول بصوت

خافت : عليك ان تعرف اسماء جميع هؤلاء المشاغبين لأنهم يكرهونك ويودون اغلاق مطعمك ولا يريدون لك الخير .

قال « مروان » وهو ينظر بخوف الى الضابط : حسناً .

عاد « جان » وجلس على كرسيه ، وبدا منشرحاً لهذه النتيجة فقال : ماذا تريد ان تعمل ؟

أجاب الفتى ببساطة : سأوقفهم عند حدهم واطردهم من مطعمي . قهقه « جان » ضاحكاً وقال : لا . لا يا مروان عليك ان تعرفهم وتخبرني عن اسمائهم وانا سأتصرف معهم . ثم اضاف : ولا تقلق نفسك ألا ترى انهم يدفعوننا لإغلاق مطعمك .

ـ « مروان » : نعم . كما تقول .

● « جان » : انهم يكرهونك . لكن سيبقى مطعمك مفتوحاً ما دمت نشيطاً .

ـ « مروان » : حسناً . سأفعل ما تريد .

وكانت عملية التجنيد تتم بطريقة غير مباشرة ، وبأسلوب التوريط . وحين اراد الضابط ان يفهم « مروان » ان عمله يتخذ طابع السرية قال له : على فكرة يا مروان لا تتردد كثيراً على مكتبي . فتساءل الفتى بدهشة : لماذا ؟ قال « جان » : ألا تعرف الناس هنا ؟ سيقولون عنك عميلاً ! رد « مروان » : أنا لست عميلاً . وانما احضر لكم الطعام ، وهذا ما يعرفه كل الناس .

كانت اجابة الفتى مشجعة ، فقد نفى عن نفسه صنعة العمالة كما يراها الناس الذين لا يعرفون حقيقة ما يدور بينه وبين ضابط المخابرات ، وليس من منطلق معرفته بما يفعله ، وهذا ما جعل الضابط يقول : من الآن فصاعداً سأرسل احد افراد الأمن لنقل الطعام الى هنا حفاظاً على سمعتك .

ونجح « مروان » في الاختبار الذي وضعه فيه الضابط ، ووافق على اسلوب السرية في العلاقة وقال : حسناً . حسناً . لكن بقي ان ينجح في الاختبار الثاني لمعرفة مدى قدرته على جمع المعلومات ونوعيتها . وفتح « جان » درج مكتبه واخرج منه كالمعتاد مبلغاً من المال رماه على الطاولة قائلاً : خذ هذا المبلغ ، وكن حذراً وتصرف بذكاء . فوضع « مروان » المبلغ في جيبه وهو يقول : « ولا يهمك . . سأكون عند حسن ظنك » .

خرج الفتى من مكتب المخابرات الاسرائيلية وهو يفكر في هؤلاء « المشاغبين » الذين يأتون الى مطعمه ويريدون ان يتسببوا في اغلاقه محدثاً نفسه قائلاً : سأنتقم منهم ، انهم يريدون خراب بيتي . وعند الظهر كان المطعم يعج بالشباب عندما دخله فوجدها فرصة مناسبة لمعرفة راشقي الحجارة و« المولوتوف » ، فقال بصوت مسموع للشباب الذين يتناولون طعامهم : بالأمس ضربت سيارة اسرائيلية وتم استدعائي الى مركز المخابرات وسألوني عن الفاعلين لكنني قلت لهم انني لا أعرف أحداً . ثم راح يسب ويشتم الاحتلال ، مظهراً حماسه وحبه للوطن قائلاً : من يريد ان يضرب السيارات الاسرائيلية

بالحجارة فليضرب ، واذا كان باستطاعة المخابرات الاسرائيلية ان تفعل شيئاً فلتفعله ، وأنا لا أهتم ويجب علينا جميعاً ان نقاوم الاحتلال . واستمر في حماسته ليبدأ مرحلة التقرب من الشباب . وراح يتودد اليهم حتى وثقوا به جيداً ، وأخبره بعضهم بأنهم يريدون ضرب مركز المخابرات المجاور للمطعم بالحجارة في يوم محدد ، كما اخبروه عن ذلك الموعد بالضبط ، وانهم رشقوا السيارة الاسرائيلية بالحجارة في المرة السابقة .

وما ان سمع « مروان » هذا الكلام حتى اسرع الى الضابط ليخبره ان فلاناً وفلاناً هما من بين الذين ضربوا سيارته بالحجارة وينوون رشق المركز في يوم كذا . فانفرجت اسارير « جان » وهو يسمع هذه المعلومات ، وقال : أحسنت ! ثم اعطاه مبلغاً من المال وقال له : كن حذراً لئلا يكشفوا سرك . ووثق علاقتك بهم اكثر .

بعد ايام عدة وفي الموعد المحدد ، قام الشبان برشق مركز المخابرات في جنين غير ان المخابرات لم تعتقل المجموعة التي ابلغ عنها « مروان » خوفاً من ان يكتشف امره مما جعل الشبان يعودون للتعامل معه ووثقوا به تماماً . ولم تمض سوى ثلاثة ايام حتى جاءه احد افراد المجموعة ليخبره بأنهم هذه المرة يخططون لمهاجمة المركز بقنابل « مولوتوف » فأثنى عليهم وراح يشجعهم ومساء ذلك اليوم ، اغلق مطعمه ، وتسلل الى مكتب « جان » ليبلغه المعلومات التي حصل عليها . وهكذا استمر في عمله « يلعب على الحبلين » متقرباً من الشبان الوطنيين لمعرفة نشاطاتهم ومبلغاً الضابط « جان » عنها .

واثبت مروان جدارته وقدرته على جمع معلومات هامة ،

خلال فترة وجيزة ، إلا ان « جان » كان يعتبر ان « الكماشة » لم تنطبق تماماً عليه وكان لا بد من توريطه اكثر حتى لا يرفض العمل في المراحل اللاحقة ، وهي الأخطر .

المصيدة

بعد يومين من ابلاغ « مروان » الضابط بهجوم القنابل الحارقة على المركز طلبه وقال له : انت ممتاز ونشيط ومخلص ، ولهذا سأحضر لك فتاة اسرائيلية جميلة فاستفسر الفتى بدهشة : وماذا افعل بها ؟!

فابتسم « جان » بخبث . وكان واضحاً انه قطع مرحلة متقدمة في تجنيد « مروان » خصوصاً بعد ان حصل على معلومات حساسة ، فأراد ان يقوم بتجنيده بشكل مباشر ويدخله في مراحل جديدة من العمل . وفيما كانت الساعة تشير الى التاسعة مساء خفت الحركة في المدينة ومكتب المخابرات خلا من المراجعين والموظفين باستثناء عدد قليل منهم وضحك « مروان » واطرق برأسه خجلاً وقال : « انني لم أتعود على ذلك من قبل » . فقام « جان » من وراء مكتبه وسار باتجاه الباب وهو يقول : من الآن فصاعداً لن تخجل من شيء . وخرج الضابط وغاب عدة دقائق ثم عاد ومعه فتاة اسرائيلية شقراء ترتدي ملابس عسكرية . لكن رغم تلك الملابس كانت مفاتنها ظاهرة . وجلست بالقرب من الفتى في حين اطرق برأسه خجلاً وراحت تتحدث معه . وبدا مضطرباً ومتردداً وقد احمر وجهه واصبحت الكلمات تخرج من حنجرته بصعوبة . ولاحظ الضابط ذلك فخرج من الغرفة وتركهما وحيدين . بعد ان

اغلق « جان » الباب خلفه قامت الفتاة التي قدمها الضابط باسم : « راحيل » وبدأت تلعب دورها فيما « مروان » لا يدري ماذا يفعل . واثناء ذلك فتح باب المكتب ودخل « جان » حاملاً بيده آلة تصوير وراح يصور « مروان » مع الفتاة .

ـ مروان : لماذا هذه الصور ؟

● « جان » : للذكرى .

ثم انصرف الضابط وترك الفتى والفتاة ساعة قبل ان يعود مرة اخرى الى الغرفة . فأخذ يتحدث مع « مروان » في حين خرجت « راحيل » .

ـ « جان » : وجهك أحمر يا « مروان » ! أنت تعب جداً قل لي ألا تشعر بالسعادة ؟

ـ « مروان » : بلى . شكراً انها جميلة .

● « جان » : ممتاز اريد منك ان تكون نشيطاً جداً ، وبقدر نشاطك واكتشافك لـ « المشاغبين » سأحضر لك فتيات جميلات .

ـ « مروان » : لا يهمك . سأكون عند حسن ظنك ، اطلب وسأنفذ ما تشاء وسأبقى تحت امرك .

● « جان » : لا اريدك ان تعمل في المطعم . وأريد منك ان تتجول في المقاهي والنوادي ودور السينما وتسير ليلاً في الشوارع وتتردد على هذه الأماكن . وما يهمنا هو معرفة « المشاغبين » .

- « مـروان » : والمطعم ؟ بهـذه الطريقـة سـأخسر مصـدر رزقي .

ضحك « جان » وقـال : ولا يهمك سـأدفع لـك أكثر من ايراد المطعم بكثير المهم النشاط . وفي الوقت نفسه لا اريدك الآن ان تغلق المـطعم ، يجب ان يستمر في العمـل حتى يظل « المشاغبون » يترددون عليه . وفي اوقات معينة تغادره وتتردد على الأماكن التي ذكرتها لك .

ودع « مروان » الضابط وخرج من المكتب عائداً الى المطعم حيث جلس وغـرق في احلامـه مع « راحيـل » ، وكان لتلك الساعة أثر كبير في نفسه . فهي قلبت تفكيره وسيطرت سيطرة كـاملة على أفكـاره . وقال لنفسـه : سأكـون من الآن نشيـطاً وسـأبحث عن اخبار من اجـل ان يحضر لي فتيات جميـلات . وبينما هو مستغرق في هذه الأحلام ، دخل الى المطعم اصدقاؤه من الشباب . وهو لا يدري بما يدور حوله ، فقال له احدهم : أين وصلت يا « مروان » في شرودك ؟ انتبه الى وجودهم وقال تفضلوا استريحوا ، إنني أفكر في العمل الوطني . والمطعم هل اطـوره ام اغلقـه ؟ رد عليـه احـدهم قـائـلاً : من الأفضـل تـطويره ، ونحن سنسـاعدك اذا احتجت ، فـالمـطعم مصـدر رزقك ، ونحن نعرف ظروفك المادية الصعبة . وقال « مروان » وهو يحاول استدراجهم : إنني أفكر في العمل الوطني فمن أين لي ان استمـر في المـطعم ؟ ومن أين لي بـأمـوال النشــاطـات الأخـرى ؟ اجابـه : دع الأموال الأخـرى علينا ، فنحن عـلى استعداد لتمويل النشاطات الوطنية وانت ما عليك الا ان تنتبه لعملك ومطعمك .

تساءل « مروان » بخبث قائلاً : ومن اين لكم بـالفلوس ؟ اجابه : اننا نوفر من مصروفنا اليومي ونتعاون على ذلـك . لا تقلق من هذه الناحية .

ووافقهم على ذلك شرط ان يدفع مثلهم في تمويل النشاطات الوطنية . إلا ان موضوع الهجوم بالقنابل الحارقة « المولوتوف » على مركز المخابرات كان محور الحديث بينهم . فمن صنع هذه القنابل ؟ ومن خطط للهجوم والتوقيت ؟

وقبل ان تخرج المجموعة من المطعم حصل « مروان » على التفاصيل الكاملة للعملية وما ان غادروا حتى اتصل بالضابط هاتفياً وحدد معه موعداً عند الساعة التاسعة ليلاً .

في الموعد المحـدد ، اغلق المطعم وكـانت الشوارع في تلك السـاعة شبـه خاليـة من المارة فتسلل الى مكتب المخـابرات ، ليقـدم الى « جان » المعلومـات الكاملة حـول العملية . وبـدا الضابط مسرورا للغـاية من هـذا النجاح ، فمـد يده الى درج المكتب واخـذ « مروان » يفـرك يديـه استعـداداً لتنـاول المبلغ المالي ، لكن ملامح وجهه تبدلت فوراً عندما شاهده وهو يخرج مجموعة من الصور ، اخذ ينظر اليها ويقـول بخبث : صورك جميلة مع « راحيل » .

وقدم الصور الى « مروان » الذي راح ينـظر اليها وسـأله : ولماذا تحتفظ بهذه الصور ؟ ابتسم « جان » وقال : هذه الصور ستبقى عندي . ولو حاولت خداعي او الكذب علي سوف اقوم بعملية بسيطة للغاية .

هنا ابدى الفتى دهشته وقال : ماذا ستفعل ؟ لم افهم .

● « جان » : ستفهم يا عزيزي . فلو حاولت خداعي سأقوم بتوزيع هذه الصور على عائلتك واصدقائك ومعارفك وكذلك سأنشرها في الصحف . وفي هذه الحالة تصور كيف ستكون سمعتك . فضيحة كبرى ، أليس كذلك ؟

ـ اخذ مروان يرتعد من الخوف ، فقال متوسلاً : هل كذبت عليك في شيء ؟ أنا لم اخدعك لقد قمت بما طلبته مني .

● « جان » : أعرف .

ـ « مروان » : ارجوك سأعمل ما تريده مني حتى النهاية .

● « جان » : على كل حال ، ما دمت صادقاً ومخلصاً معي سأقوم بتمزيق هذه الصور والآن ما دمت عاقلاً يجب ان تعرف مسألة مهمة .

ـ « مروان » : وهل يوجد اهم من الصور ؟

● « جان » : نعم . انك تعمل الآن مع المخابرات الاسرائيلية وعليك ان تنفذ كل تعليماتي بدقة . والآن انس هذا الموضوع ، ولنعد الى الهجوم بالقنابل الحارقة على مركز المخابرات . فغدا موعد الهجوم . ابق في مطعمك ولا علاقة لك بما سيحصل .

ـ « مروان » : حاضر .

عندئذ ناول الضابط الفتى مبلغاً من المال وانصرف ليبدأ مرحلة جديدة من العمل لصالح المخابرات الاسرائيلية ، بعد ان وقع في المصيدة ، واطبقت عليه « الكماشة » فكيها تماماً .

وكانت المعلومات كاملة لدى المخابرات حول العملية : اسماء الشبان وعناوينهم ومكان تجمعهم للقيام بالعملية والتـوقيت . واعد « جان » خطة للقبض على المجموعة ، وفي الـوقت ذاته بقي « مروان » بعيداً عن الاعتقـال مع مـراعاة عـدم اكتشاف تعامله مع المخابرات .

وحسب الخطة المرسومة ، وفي موعد الهجوم كان « مروان » كالعادة في مطعمه وكأن لا علاقة له بالأمر ولا يدري ما يحصل في احـد شوارع جنـين ، قـرب المـطعم . وقـامت سيـارة من الشرطة الاسرائيلية بمطاردة سيارة الشبان بحجة انها هاربة وفي اللحظة المناسبة قفز رجـال الشرطـة والقوا القبض عـلى افراد المجموعة وهم متلبسون ومعهم القنابل الحارقة .

فخ في شقة سرية

بعـد القبض على المجمـوعـة نتيجـة للمعلومـات التي زود « مروان » بها المخابرات الاسرائيلية ، تعرض الشبان لتعذيب وحشي اثناء التحقيق ، وقد اعترفوا بالتهم التي نسبت اليهم ، لأنهم ضبطوا متلبسين . لكنهم لم يعترفوا بـأن « مروان » كـان معهم ، لأن المحقق لم يـذكـر اسمــه اثنـاء الاستجــواب . وحكمت المحكمـة عليهم بالسجن . . إلا ان « مـروان » كان خائفاً من ان تكون المجموعة اكتشفته . لذا لم تمض سوى عدة ايام على سجنهم حتى ذهب لزيارتهم بحجة الاطمئنان عليهم ، في حين كان يود ان يطمئن على نفسه في حقيقة الأمر .

ومن وراء الشبك في السجن وقف « مروان » بكل براءة ، يسـأل عن صحـة الشبـاب . ولم يكن بحـاجـة الى السؤال ، فعلامات التعذيب لا تزال ظاهرة على وجوههم . وكان يعتقد ان المسـافة التي تفصـل وجهه عن وجـوههم عدة سنتيمتـرات يخترقها شبك حديدي . إلا أن المسافة كانت بعيـدة جداً بـين وجهه الذي كان مسوداً رغم المال الذي قبضه من الضابط ثمناً لرؤوس المناضلين . وكان عذاب الضمير ينعكس بشكل مخيف على قسمات وجهه ، في حين كان الرضى واضحاً في عيونهم . ولم يستطع ان يفهم سر سعادة الشبـاب وهم يرتـدون الملابس

الـزرقاء وهي تحمـل ارقامـاً . . وكانـوا يشعـرون بـأنهم مثـل « الجنرالات المتصرين » الذين تطرز صدورهم النياشين ، وهو السر الذي لم يعرفه السجان الاسـرائيلي . وتسـاءل « مروان » بخبث : كيف تم اعتقالكم ؟ فرد احدهم : صدفة . السيارة التي هـربت من الشـرطـة هي التي اوقعتنـا ونحن لم نعتـرف عنك . اطمئن ولا تخف ، وارجع الى مطعمك وكن شجاعاً ، فالنضال لن يوقفه السجن والاعتقال .

ابتسم « مروان » برضى لهذه النتيجة ، فقد اطمأن الى نوايا الشبان وبقي بعيداً عن الشبهات ، وعاد وهو يقول في نفسه : « جان هذا ليس انساناً عادياً . انه شرير ولديه من الحيل شيء عجيب » .

وذهب الفتى الى ضابط المخابرات الاسرائيلية « جان » وهو سعيد بالنتيجة التي حصل عليهـا ، بعد زيـارته المجمـوعة في المعتقـل ، وحدثـه عما جـرى بينهم ثم اضاف : لقـد وعدتني باحضار فتـاة جميلة ، فأين هي ؟ لقـد قبضت على المجمـوعة أليس كذلك ؟ فضحك الضابط وقال : يا وغد . . هل تعتقد ان مكتبي (. . .) ؟

● « مروان » : ماذا تقصد ؟

ـ « جان » : عليك ان تستأجر شقـة في جنين وانـا سأدفـع اجرتها لك . وهذه الشقة يجب ان تكون لهـا مواصفـات امنية معينة ، وهناك ستأتيك الفتيات اللواتي تريدهن .

● « مروان » : احقاً ما تقول ؟!

ـ « جان » وهل تعتقد انني اكذب عليك ؟ غداً تبحث عن

الشقة ، وفور وجودها تدفع الايجار ، ولن تأتي الى هنا مرة اخرى بل تتصل بي بالهاتف ونحدد موعداً اما في الشقة او في أي مكان آخر ، حتى لا يشك بك احد . ولدينا عمل كثير ولا زلت يا عزيزي في البداية .

وتناول الضابط مبلغاً كبيراً من المال واعطاه الى « مروان » قائلاً : تستأجر الشقة وتضع فيها بعض الأثاث ، وغداً تتصل بي في الهاتف ولا تأتي الى هنا . وعندما تتصل بي بعد ان تستأجر الشقة سأمر بك في السيارة ونذهب معاً الى هناك . ووضع « مروان » المبلغ الكبير في جيبه وهو يكاد يطير من الفرح . وهمّ بالانصراف لكن « جان » استوقفه قائلاً : انتظر ! ثم تناول ورقة وقال : ضع توقيعك واسمك عليها . فتساءل « مروان » : ما هذه الورقة ؟ قال « جان » : هذا ايصال فهل تعتقد انني اعطيك مالاً من بيت ابي ؟ هذه اموال الحكومة ، يا جاهل ولدينا حسابات ومراقبة مالية . فامسك « مروان » بالقلم وهو يتمتم : طبعاً .. اموال حكومة ، فهل انا قلت انها سائبة ؟ وكانت الورقة بيضاء فقال : هذه ورقة بيضاء ، ماذا سأفعل بها ؟ فرد الضابط : اكتب ما يلي بخطك لقد تلقيت مبلغ (كذا) من المخابرات الاسرائيلية . ثم اكتب اسمك وتوقيعك وتاريخ اليوم ١٩٧٢/٧/١٢ .

كتب « مروان » الايصال ووقعه بكل بساطة وناوله الى « جان » الذي وضعه في درج مكتبه وهو يقول بصوت خافت كأنه يحدث نفسه : الآن كل شيء تمام !

لم يكن « مروان » ليدري ان هذا الإيصال الذي كتبه بكل بساطة ، كان مأخذاً عليه لا يقل اهمية عن الصور لتوريطه ،

وحتى لا يستطيع الافلات من قبضة المخابرات الاسـرائيلية . وعـلى اثر ذلـك راح الضابط يحـدثه عن المـواصفات المـطلوبة للشقة ، من حيث موقعها والجيران وكـافة المسـائل التي تتعلق بطبيعة الدور الذي ستلعبه هذه الشقة في العمل .

تدريب على الأمن الشخصي

في صباح اليوم التالي ، ترك « مروان » المطعم وراح يبحث في احياء المدينة عن شقة تنطبق عليها المـواصفات التي طلبهـا الضابط . وهو كان يبحث في كل مكان وصورة « راحيل » في مخيلته . وما دامت الشقة ستجمعه بها مرة اخرى ، فكل التعب يهون . ولكنه كان يتساءل : لماذا يدفع « جان » كل هذا المبلغ من اجل ايجار شقة وتأثيثها ، حتى يلتقي « راحيل » ؟ هل كل ما يريده الضابط هو سعادته مع تلك الفتاة الاسرائيلية ؟

عند الساعة الثالثة بعد الظهر كان « مروان » قد اهتدى الى شقة ممتازة ، ومـا دامت الفلوس في جيبه فقـد استطاع خـلال سـاعة ان يشتـري الاثاث المـطلوب . وبعد انتهـائه من هـذه المهمة ، وضع مفاتيح الشقة في جيبه ، وهو يقول في نفسـه : كـل شيء تمام مـا عدا « راحيـل » . . ولكنها لن تفلت مني ! وتوجه الى مطعمه واتصـل بالضـابط هاتفيـاً واخبره بـأنه انهى المهمة فحدد له « جان » موعداً الساعة التاسعة ليـلاً ، وطلب منه ان ينتظره في موقف للاوتوبيس وسط المدينة ، حيث سيمر من هناك في سيارته .

وفي المـوعد المحـدد كان العميـل في الموقف ومعـه عدد من المواطنين ينتظرون مجيء الباص . ومضت دقائق فجاء الباص

وصعد الركاب وبقي بمفرده باستثناء بعض المارة في تلك الساعة حيث قلت الحركة في الشارع . واقتربت سيارة بيضاء تشير ارقامها الى انها من سيارات العرب سكان جنين حيث نظام لوحات الأرقام في اسرائيل يعطي السيارات الاسرائيلية اللون الأصفر ، والسيارات العسكرية والمخابرات اللون الأسود ، بينما لون لوحات ارقام سيارات الضفة الغربية خضراء ، مع اشارة على اللوحة الى الحرف الأول بالعبرية للمدينة العائدة اليها تلك السيارة .

اقتربت السيارة وتوقفت بجانب « مروان » فصعد اليها وانطلقت به . وسلم عليه الضابط لكن « مروان » جال بنظره في المقعد الخلفي فلم يكن هناك احد ، فبدا مستاءً وكأنه اصيب بخيبة امل وقال : و« راحيل » ؟ ألم تأت معك ؟ قال « جان » بضجر : أليس في ذهنك إلا النساء ؟ لدينا عمل كثير الآن ، وستأتي « راحيل » في ما بعد .

صمت « مروان » وقد غضب من هذا التوبيخ ، لكن « جان » لم يدعه يسترسل في صمته ، فقال ممازحاً : لا تغضب مني غداً ستكون « راحيل » عندك في الشقة . ثم ضربه بيده على كتفه وقال : هيا . . افرح يا عم ! والآن ألا تريد ان ترشدني الى مكان الشقة ؟

لدى وصولهما اوقف « جان » سيارته في شارع جانبي بعيداً عن العمارة التي تقع فيها الشقة ، ثم قال : اذهب الآن وانتظرني في شقتك ، وسآتيك بعد دقائق . يجب أن لا نسير معاً في الشارع . فنزل « مروان » من السيارة ، وأسرع الى الشقة وجلس في انتظار وصول الضابط ، الذي لم تمض دقائق

حتى قرع الجرس ودخل .

اثنى « جان » على حسن اختياره الشقة وموقعها المناسب ، وبدأ الاجتماع قائلاً : الآن يجب ان تتعلم امراً مهماً في هذا العمل . سأدربك على الأمن الشخصي . وراح يشرح له كيفية الخروج من الشقة ، فيجب عليه ان يصغي الى جانب الباب من الداخل ، وما اذا كان احد يسير على الدرج . وعندما يتأكد من ان الدرج فارغ خال من الناس او الزائرين عليه حينئذ ان يخرج . كما انه عندما يخرج من باب العمارة يجب عليه ان يلقي نظرة سريعة ليلاحظ ما اذا كانت سيارة تقف في المكان في وضع مريب ، كأن يكون فيها اشخاص مهمتهم المراقبة ، او ان احداً يقف غير بعيد عن المدخل الرئيسي . وسأله « مروان » : واذا لاحظت مثل هذه الأمور ؟ فرد « جان » في هذه الحالة عليك ان تفلت من الرقابة بحيث تسير على قدميك في شوارع جانبية ، فتدخل وتخرج ثم تتوقف في احد المحلات التجارية ، وتتظاهر بأنك تتفرج على الواجهة لترى انعكاس من يقف بالصدفة ، فتدخل الى المحل وتتظاهر بشراء أي شيء . والأهم ان لا تشعر من يراقبك بأنك اكتشفته ، ولا تعود الى منزلك او عملك او الى الاجتماع قبل ان تفلت من المراقبة وتتأكد من ان لا احد يسير وراءك واذا تأكدت من ان احداً يراقبك ابلغني فوراً .

ثم راح « جان » يشرح لـ « مروان » كيف يسير نحو الشقة ، بحيث يتبع الاسلوب ذاته وان لا يتوجه مباشرة الى هناك ، فيحمل جريدة ويسير مسافة ، ثم يتوقف بحجة انه يريد القاء الجريدة في سلة القمامة ، فيستدير ويلقي نظرة

سريعة الى الوراء ليشاهد ما اذا كان احد يسير خلفه ، وان وجده فعليه ان يحفظ الوجوه .

احس « مروان » بالضجر من هذا الدرس فقال : هذه اجراءات معقدة ومملة . فرد « جان » : ولكنك ستتعود عليها وتصبح جزءاً من سلوكك . فهل تعلم انني اعيش بهذه الطريقة منذ عشر سنوات ؟! ثم اضاف : بالنسبة الى هذه الشقة يجب ان تبقى بعيدة عن الشبهات ، كما يجب ان لا يعرف احد ما يدور فيها ، وهذه مسؤوليتك . هنا هز « مروان » رأسه موافقاً فقد كانت الجلسة في نظره كلها نكداً وكانت هذه الشقة الوكر الأول الذي افتتحه الضابط « جان » لتمارس من خلاله المخابرات الاسرائيلية جرائمها .

الكاميرا

في تلك اللحظة ، اخرج الضابط من جيبه كاميرا صغيرة واعطاها الى « مروان » قائلاً : احتفظ بهذه الكاميرا هنا في الشقة ، واخفها لأنك ستعمل بها . فرد « مروان » : كيف ؟ لم افهم .

ـ « جان » : ستفهم في ما بعد . فالمهم الآن انني اريد منك ان ترشح لي عدة اسماء من الشبان العرب اصدقائك مثلاً ، وتدرس حالتهم الاجتماعية واوضاعهم المالية وهواياتهم . وما اذا كانت لديهم صديقات واسماء هؤلاء وتطوع بارسال الرسائل المتبادلة بينهم وباختصار اريد تفاصيل كاملة ودقيقة حول حياتهم . ومهما كانت المعلومات تافهة اكتبها وزودني بها .

● « مروان » : على الرغم من انني لم افهم شيئاً ، فسأعمل ما تطلبه مني .

ـ « جان » : ممتاز : يجب ان تتعود على ان ما لا تستطيع ان تفهمه اليوم ستفهمه غدا . لكن يجب ان تنفذ ما اطلبه منك .

انتهى الاجتماع عند الساعة الحادية عشرة ليلاً ، فأراد « مروان » ان يخرج فنظر اليه الضابط وقال : كل تعب الليلة راح بلا جدوى . يجب ان تستوعب الاجراءات الأمنية . فأنا اخرج الآن وانتظرك في السيارة فتتبعني بعد عدة دقائق . وخرج الضابط وانتظر في سيارته التي كانت تقف في شارع جانبي ثم بعد دقائق لحق به « مروان » فأوصله الى مكان قريب من منزله وقبل ان ينزل « مروان » من السيارة قال له « جان » ضاحكاً : غداً مساء الساعة التاسعة ، انتظر « راحيل » في الشقة . لا تنس . فرد « مروان » : هذا موضوع لا ينسى !

وكان « جان » قد بدأ بتكوين شبكة من الجواسيس ، ونجح في تجنيد « مروان » ليستدرج من خلاله بقية اعضاء الشبكة الى المصيدة .

وفي صباح اليوم التالي جلس « مروان » في مطعمه وهو يفكر في الموعد مع « راحيل » وكذلك في المهمة التي كلفه بها الضابط . كما كان يفكر بطريقة لجمع المعلومات التي طلبها منه . في تلك الأثناء صادف ان جاءه شاب في السابعة عشرة من عمره يدعى « احمد » فوجدها فرصة مناسبة ليبدأ العمل . اخذ « مروان » يتحدث معه عن مغامرات وهمية ، ليجر الشاب الى الحديث ، فصارحه « احمد » بأنه تربطه صداقة مع تلميذة

في المدرسة تدعى « سناء » وان العلاقة بريئة . وكانت هذه الجلسة كافية ليعرف منه العميل كل التفاصيل التي يريدها حوله . وفي نهاية الحديث كان « احمد » يوافقه على نقل رسالة منه الى الفتاة ما دام هو خائفاً من ذلك .

سهرة ورسالة

سهر « احمد » تلك الليلة وهو يكتب رسالة ويمزق الورق حتى استقر في النهاية على نص رسالة جميلة تفنن فيها في وصف صديقته . وبعدما انتهى طوى الورقة ووضعها في مغلف صغير وكتب عليها اسم : « سناء » . وفي الصباح كان من اوائل رواد المطعم ، فما ان شاهده « مروان » حتى انفرجت ملامحه وقال : اهلاً وسهلاً . . واضح انك لم تنم هذه الليلة ، وهذا هو ثمن الحب . فأطرق « احمد » خجلاً وقال : انا سأغلبك بنقل الرسالة ، فهل تصدق انها الأولى اكتبها الى هذه الفتاة . ولولا الحاحك لما كتبتها ، لأنني اعتقد انه لا ضرورة لمثل هذه الرسائل . لكن « مروان » شجعه بقوله : ما هذا الكرم ؟ فالحب ليس نظرات فقط . وهنا اعترض « احمد » قائلاً : فقط ؟! رد « مروان » : اترك هذه المسائل لي وسأجعلك تلتقي بها ، فأنا لا يشق لي غبار في هذه الأمور .

أخرج « احمد » الرسالة بيد مرتعشة ، وتلفت حوله يمنة ويسرة . فقطع عليه « مروان » خوفه قائلاً : هات الرسالة . . لماذا انت خائف هكذا ؟

وأخذ العميل الرسالة ودسها في جيبه وهو يتمتم : كل شيء تمام ! وبعد ان خرج الشاب المسكين من المطعم قفز « مروان »

الى مكتبه وصور الرسالة بعدما فتحها ثم اعاد اغلاقها كما كانت . وعند الظهر من ذلك اليوم وقف « مروان » في مكان غير بعيد عن باب المدرسة في انتظار « سناء » ولما اقتربت منه حياها وراح يحدثها عن « أحمد » . ثم ناولها الرسالة وطلب منها تحديد موعد للقائه . فأبدت الفتاة تخوفها وسألته : لماذا لا يطلب هو شخصياً في هذا اللقاء ؟ وما الداعي لهذه الرسائل ؟ فضحك « مروان » وقال : ألا تعرفين « أحمد » ؟ انه خجول .

بعد ان توصل الى هذه النتيجة ، عاد « مروان » الى « جان » وأبلغه ما حصل . فقال له الآخر وهو يقرأ النسخة المصورة عن الرسالة : عظيم .. عظيم . انت ممتاز يا « مروان » . والآن عليك ان تحدد موعداً بين الاثنين في مكان ما ، وتأخذ الكاميرا معك وتخفيها . وعندما يتقابلان تلتقط لهما صوراً عديدة وتأتيني بها .

وبعد ايام بدأ « مروان » يطرح موضوع اللقاء ، في حين توطدت العلاقة بين الشابين واصبح « احمد » يتردد باستمرار على المطعم . وتحدد الموعد في مكان بعيد ، وكان العميل جاهزاً لالتقاط الصور بهذه المناسبة « السعيدة » ، وفيما وقف الشاب والفتاة يتحدثان بمنتهى البراءة كان « مروان » قد جهز آلة التصوير الصغيرة وراح يلتقط الصور . فتنبه احمد وقال له : لماذا هذه الصور ؟ ضحك « مروان » وقال : هذه مناسبة سعيدة ، والصور للذكرى .

وطبقاً لتعليمات ضابط المخابرات الاسرائيلية « جان » بدأ « مروان » تنفيذ الجزء الثاني من الخطة ، فراح يثير مشاعر « احمد » من خلال حديثه المستمر عن الفتيات ، فلم يتجاوب

معه وبدا متحفظاً . إلا ان « مروان » كان يستدرجه قائلاً : لدى احد اصدقائي شقة فيها فتيات جميلات . فأبدى « احمد » استياءه من هذا الحديث وقال : انا لا احب هذه الأمور .

● **« مروان » : اريدك ان ترافقني في احد الأيام وسترى بنفسك .**

□ « احمد » (بتردد) : لكن ذلك حرام .

● **« مروان » : تعال يا رجل ولا تفعل شيئاً ان اردت بل تفرج على الأقل !**

وافقه « احمد » على المبدأ فانتظر « مروان » خروجه من المطعم ليبلغ « جان » ما حصل ، فقال له : تمام . في المساء ستكون « راحيل » معكم في الشقة .

ومساء ذلك اليوم كان « احمد » يتوجه مع « مروان » الى الشقة دون ان يشعره بالاجراءات الأمنية التي يقوم بها اثناء سيره ، فكان يدخل الى احد المحلات ويقول للبائع اريد شراء (كذا) ثم لا يلبث ان يغير رأيه بحجة ان السعر غال .

ومرت الدقائق بطيئة في انتظار وصول « راحيل » . فقد تأخرت قليلاً ، بينما كان « احمد » لا يفهم شيئاً مما يدور . وسأل عن صاحب الشقة وما سر وجود مفتاحها مع « مروان » إلا ان الأخير حاول اقناعه بأن صاحب البيت صديقه وهو عازب ويعطيه المفتاح حتى يأتي في أي وقت يريد . فأحس « احمد » رغم بساطته وسذاجته بأن الوضع مريب في هذه الشقة الغريبة ، لكنه لم يكشف هواجسه حتى لا يغضب صديقه منه ، وراح يشرب فنجان قهوة اعده له « مروان » . ولم

يطل الانتظار حتى سمع الاثنان طرقات خفيفة فأسرع مروان « وفتح الباب فتحة ضيقة بحيث يشاهد وجه الطارق . لكنه سرعان ما فتح الباب كله وهو يقول : تفضلي . وفيما دخل الى المطبخ حين جلست « راحيل » على المقعد في وضع غير محتشم ، فاحمر خجلاً من المنظر ، وأشاح بوجهه متظاهراً أنه ينظر الى المطبخ . وقال منادياً « مروان » : هيا . . أين أنت ؟ لقد تأخرت . . اريد ان اعود الى البيت .

وبعد لحظات اطل « مروان » وهو يحمل ثلاثة اكواب فارغة وزجاجة شراب . ثم راح يصب الشراب في الكؤوس ، فرفض « احمد » ان يشرب الا ان « راحيل » لم تدعه لقناعاته فتناولت كوبه وقدمته له في اسلوب مثير . ولم يستطع الفتى مقاومة هذا الطلب في حين كان « مروان » يراقب المشهد ويبدو سعيداً بينما يقوم بحركات مخجلة مع الفتاة الاسرائيلية لاثارة رفيقه واستدراجه الى الفخ . وبعد نصف ساعة كان « أحمد » قد بدأ يفقد توازنه ، فألقى « مروان » على الفتاة نظرة ذات مغزى ، فقامت واصطحبت « احمد » الى غرفة داخلية فيما كان « مروان » يلتقط الصور سراً . وفي نهاية السهرة ، كان « احمد » قد بدأ يصحو من شبه غيبوبة نتجت مما دس له في القهوة فعاد الى منزله متسللاً لينام في فراشه دون ان يراه احد .

الضحية في مكتب المخابرات

ومرت ثلاثة ايام دون ان يأتي « احمد » الى المطعم ، فقد كان خجلاً من « مروان » ويبدو انه ندم على فعلته التي جره اليها

« مـروان » . فذهب اليـه في منزلـه بحجة الاطمئنـان عليه ، فوجده على ما يرام وعرف انه خجل من تلك السهرة .

إلا ان « مـروان » لم يـدعــه يستسلم لتـأنيب الضمــير ، فاصطحبه الى المطعم وبدأ يحدثـه عن تلك السهرة نـاقلاً اليـه رغبة الفتاة في رؤيته مرة اخرى . فقال « احمد » : لا اريد ان اسهـر مرة اخـرى و« مش كل مـرة تسلم الجرة » . اخشى ان يدري اهلي بالموضوع ويفتضح امري . وبدا « مروان » سعيداً بهذه النتيجة التي كشفت فهذه نقطة ضعف يجب استغـلالها ، في نـظره ، الى ابعـد حـد . وبـات يشجعـه على مثـل هـذه السهرات محاولاً اقناعه بأن الموضوع سري ولن يعرف به احد ، ويجب عليه ان يتمتع بحياته ـ حسب نظريات « مروان » . فعاد « أحمد » يتردد على صديقه « مروان » في المطعم وقد نسي على ما يبدو موضوع السهرة ، او لعله تجاوز عقدة الـذنب من خلال « محـاضرات » رفيقـه فبدا وكـأنه يستجيب شيئـاً فشيئاً لـرغبة « مـروان » في تكرار تلك السهـرة . وبعد عـدة ايام قـال لـه « مروان » : كيف تشعر الآن ؟ يجب ان تتكرر السهرة . أليس كذلك ؟ فرد « احمد » هل تعلم انني كنت احس بعد السهـرة مبـاشرة بـأن كـل النـاس تعـرف عني مـا فعلتـه تلك الليلة ؟ فضحك « مروان » عالياً وقال : هذه اوهام ، ولا احد يعلم ما حصل . على ان فرحته لم تكتمل ففي اليوم التالي تم استدعاؤه الى مركز المخـابرات الاسـرائيلية في جنين . وبدأ التحقيق في مكتب الضابط « جان » الذي بدا منشرحاً وهو يسأل « احمد » ما اسمك ؟

□ احمد .

ـ « جان » (مبتسماً) : اهلاً وسهلاً . ماذا تعمل ؟

□ « احمد » : ادرس .

ـ « جان » : في أي صف ؟

□ « احمد » : الثاني الثانوي .

ـ « جان » : ولماذا تشاغب ؟

□ « أحمد » : ماذا تقصد ؟

ـ « جان » : (مازحاً) : المظاهرات ، طبعاً .

□ « احمد » : أنا لا اشترك في مظاهرات .

ـ « جان » : وردت اخبار عنك . ومعلوماتنا دقيقة !

□ « احمد » (بدهشة) : هذا غير صحيح . انهم يكرهونني .

ـ « جان » : من هم ؟

□ « احمد » : الذين يخبرون عني .

ـ « جان » : لماذا لا تحاسبهم ؟

□ « أحمد » : كل ظالم له يوم .

ـ « جان » : الى متى ستنتظر يا عزيزي ؟

□ « احمد » : وماذا تريد مني ان افعل ؟

ـ « جان » : هؤلاء الذين يشتركون في المظاهرات ويخبرون عنك . .

□ « احمد » : انا لا دخل لي في المظاهرات . انني اريد ان ادرس فقط .

فابتسم « جان » بسخرية وقال : انك لا تريد ان تدرس بل تريد ملاحقة بنات الناس فقط .

□ « احمد » : لا . انا اعتبر بنات الناس مثل اخواتي .

عندئذ صاح « جان » وضرب بقبضته على المكتب قائلاً : اخواتك يا كذاب ؟! انظر الى هذه الصور !

ومد الضابط يده الى درج مكتبه وتناول مجموعة من الصور التقطها « مروان » لأحمد مع « سناء » وقال له : انظر الى هذه الصور : انها جميلة أليس كذلك ؟ ثم تناول نسخة عن الرسالة التي بعثها الى « سناء » وقال له : اقرأ هذه الرسالة ايضاً . وبدا الارتباك والاضطراب على وجه الفتى وقال : فهمت كل شيء .

ـ « جان » : ماذا فهمت ؟

□ « أحمد » : « مروان » اعطاك الصور ونسخة عن الرسالة .

ـ « جان » : هذا ليس شأنك . ألم تفكر ماذا سأفعل بهذه الأشياء ؟

□ « أحمد » : كلا .

ـ « جان » : قبل ان تعرف ، انظر الى هذه الصور كذلك .

ولم يتوقع « احمد » ان يشاهد صوراً له في اوضاع مخجلة للغاية مع « راحيل » ، فاصفر وجهه وكاد يغمى عليه من المفاجأة ، وقال : من أين هذه الصور ؟ بالتأكيد هو . . .

رجع « جان » في مقعده الى الوراء وراح ينظر الى الحالة التي وصل اليها « احمد » وقال : دعك الآن من هذا الأمر ويجب ان تعرف ماذا سأفعل بالصور . اولاً سأوزع هذه المجموعة القيمة على اهلك واخواتك ، وثانياً سأزود اهل الفتاة بنسخة عن الرسالة والصور . وانت تعرف عاداتكم ، اذ سيقتلك اهل الفتاة . اما صورك مع « راحيل » فسأنشرها في الصحف .

□ « احمد » : لماذا تريد ان تفعل كل ذلـك ؟ . . ارجوك ! ستكون نهايتي : ارجوك ان تحرق هذه الصور .

ـ « جان » : هذه الصور سأمزقها في حالة واحدة فقط .

□ « احمد » (بلهفة) : كيف ؟

ـ « جان » : اذا سمعت كلامي ونفـذت ما اطلبـه منك ، فسأمزقها اما اذا كذبت علي او حاولت خداعي فسأقوم بتوزيع الصور ونشرها في الصحف . وانت حر اختر ما تشاء !

□ « احمد » : انا تحت امرك .

ـ « جان » : عليك ان تعمـل معي وستكون عـلاقتك مـع « مروان » . واياك ان تحاول ايذاءه . وانت تعرف . فالصـور في المكتب وانا اعتقلك خلال دقائق .

□ « احمد » : وماذا سأعمل مع « مروان » ؟

ـ « جان » : سيرتب لك العمل . واريد منك معرفة اسماء الشبان الذين يلقون الحجارة والزجاجات الحارقة على السيارات الاسرائيلية . أي الخلايا الفدائية . وفي المـدارس ، من الذي ينظم المظاهرات ؟ كما اريد الاسماء والتفاصيل .

ثم تنـاول مبلغاً من المـال وقال لـه : خـذ هـذا المبلغ واذا اصبحت وفياً ومخلصاً فستـأخذ اكـثر منه بكثـير . ولا تنس ان الصور !

وخرج الشاب من مركز المخابرات الاسرائيلية مهموم البال ومشغول الفكر حيال هذه الورطة : هل يعمل ضد بلده وشعبه ام يرفض ويفضحه الضابط بالصور ؟ لم يخش الاعتقال بقدر ما

خشي الصور . فهي ستثير مشاكل كبيرة مع عائلة « سناء » كما ان الرسالة وصوره الفاضحة ستشكل عاراً عليه لو رآهـا احد من اهله او معـارفه ، وسيصبـح منبوذاً في مجتمعـه . وراحت الأفكار تتلاطم في رأسه . وراودته فكـرة العودة الى « جـان » ليرفض العمل الذي جنده فيه . لكنه قرر ان يتوجه الى مطعم « مروان » وقد صعد الدم الى قمة رأسه ■ .

ثلاثة فلسطينيين في الشبكة

خرج « احمد » من مكتب ضابط المخابرات الاسرائيلية « جان » وهو في حالة يرثى لها . وكان يتذكر الصور والرسالة فيستشيط غضباً. ووقف بباب المطعم فرأى « مروان » منهمكاً في عمله بكل براءة وكأنه لا علاقة له بالأمر . هز « احمد » رأسه وتقدم نحو « مروان » فيما الشرر يتطاير من عينيه فأمسك به وراح يصرخ في وجهه ويشتمه . لكن « مروان » قابل الموقف الذي كان يتوقعه بأعصاب باردة وقال بهدوء : لا تحاول اثارة المشكلة ، فأنت تعرف تماماً أين توجد الصور والى أين يمكن ان تصل . فالأفضل ان نتفاهم . قال « احمد » : لا اريد ان اتفاهم معك يا وغد . فرد « مروان » : هل تريد ان اخبر الناس لماذا انت غاضب ، وعندئذ علي وعلى اعدائي . . ؟ صمت « احمد » قليلاً ثم قال : ماذا تريد ان تقول ؟ رد « مروان » : في المساء انتظرك في الشقة حيث سنتحدث .

وهنا ادرك « احمد » انه وقع في مأزق لا يمكن الخلاص منه ، فخرج من المطعم وهو يشتم الساعة التي تعرف فيها على « مروان » . لكنه كان يشعر باحساس دفين هو مزيج من الاحباط وعدم القدرة على مواجهة الموقف الا بالاستسلام للأمر الواقع والسير مع الموجة . وراح يقطع الشوارع هائماً على

وجهه ، ومحاولاً ان ينسى الموضوع فيتذكر « سناء » وما سيقوله لها ، وما سيكون رد فعل عائلتها لو شاهد افرادها صوره مع ابنتهم واطلعوا على الرسالة ، فضلاً عما اذا كان ممكناً حل المشكلة ، وما سيقوله للناس لو هم شاهدوا صوره مع « راحيل » ؟ هذه الصور المخجلة ؟ وعاد وتذكر كلمات « جان » ترن في اذنه فيما كان يهدده بالفضيحة وبنشر الصور في الصحف ، فيقول لنفسه : طبعاً ، هم مخابرات ويستطيعون ان يفعلوا ما يريدون . كما عاد وتذكر « مروان » ودوره في الايقاع به فكان يستشيط غضباً ويقول في نفسه : سأقتل هذا الوغد . ولكنه يعود فيتذكر الصور و« جان » فيهز رأسه بيأس قاتل . ولم يعرف كم مرّ عليه من الوقت فيما هو يسير هائماً في الشوارع وهو يفكر في هذه المصيبة التي حلت فجأة به . إلا انه لم ينس موعد المساء . وذهب الى الشقة وطرق الباب طرقات خفيفة . وبعد لحظات انشق الباب عن وجه « مروان » الذي رحب به بشكل عادي جداً .

كان « مروان » يحاول ان يجد المبررات الكافية لفعلته هذه ولتعامله مع المخابرات الاسرائيلية وللتأثير على الضحية الجديدة ، فيقول : انني مثلك ضحية . وقد التقط لي الضابط « جان » صوراً مخجلة وهددني بها وارغمني على العمل مع المخابرات الاسرائيلية ، فلا فائدة من الرفض خوفاً من الفضيحة . اذ كيف سيكون منظرنا امام الناس لو شاهدوا هذه الصور ؟! فقد يقتلنا اهلنا وعلى الأقل سنصبح منبوذين ولا يتعامل احد معنا .

وما لبث « مروان » يحدث « احمد » بهذا الاسلوب حتى

رضخ الأخير للأمر الواقع وبدأ يتفق معه على خطة العمل واقتنع بأن افضل حل للتستر على الفضيحة الأخلاقية هو العمل باخلاص مع المخابرات الاسرائيلية حتى لا يفتضح امره وينفذ « جان » تهديداته . وخلال هذه الجلسة تم توزيع العمل فأصبح الاتصال بالضابط « جان » من مهمة « مروان » الذي سينقل الى « أحمد » التعليمات والتوجيهات المتعلقة بالعمل . وكانت احدى المهمات ترشيح عدد من الشبان الفلسطينيين لتجنيدهم في العمل لصالح المخابرات الاسرائيلية : فقد اراد « جان » ان ينشيء شبكة تجسسية تمارس التخريب والاجرام .

« سناء » في المركز

وبعد ان نجح « جان » في ايقاع الشاب الفلسطيني « احمد » من خلال الترهيب والترغيب اراد ان يوقع « سناء » فتنضم الى الشبكة . ومع مضي عدة ايام على تجنيد « احمد » قام الضابط باستدعاء هذه الفتاة الفلسطينية الى مركز المخابرات حيث بدأ التحقيق معها .

ـ « جان » : كيف حالك يا سناء ؟

ـ « سناء » : بخير .

ـ « جان » : كم عمرك ؟

« سناء » : ١٦ عاماً .

ـ « جان » : في أي صف تدرسين ؟

ـ « سناء » : الأول الثانوي .

وابتسم « جان » وقال : حسناً . لكن لماذا تشتركين في المظاهرات ؟ فردت الفتاة بثبات : أبداً . اسأل عني ، فأنا لا

اهتم بمثل هذه الأمور .

ـ « جان » : وبماذا تهتمين اذن ؟

ـ « سناء » : بالدراسة .

وضع القلم الذي كان يكتب به محضر التحقيق على الطاولة وقال : والحب ؟ فردت « سناء » بارتباك : انا لا احب . انني . .

ـ « جان » : ماذا ؟

ـ « سناء » : انني ادرس واعتني بالبيت فقط .

ـ « جان » : معقول ؟ ألا تحبين احداً ؟!

ففوجئت الفتاة بهذا الحديث وقالت وقد أحمرت وجنتاها : لا . . لا أحب احداً .

ـ « جان » : واحمد ؟

ـ « سناء » : من هو احمد هذا ؟

ـ « جان » : انه جاركم يا شاطرة .

ـ « سناء » : كلا . وما علاقة ذلك بالتحقيق ؟

عندئذ صاح « جان » قائلاً : انت كاذبة . . من ينظم المظاهرات من البنات ؟

ـ « سناء » : انا لا اعرف احداً على الاطلاق .

ـ « جان » : ولا تحبين احداً ؟

ـ « سناء » : لا .

في تلك اللحظة تناول مجموعة من الصور ومعها نسخة عن الرسالة من درج مكتبه ، وقال لها : ولمن هذه الصور ؟ والرسالة ، أليست لك ؟

راحت « سناء » تنظر الى الصور فعرفتها على الفور اذ كانت صورها مع « احمد » في الحديقة العامة حيث تقابلت واياه بحضور « مروان » الذي تطوّع لالتقاط هذه المجموعة على أساس انها للذكرى . ولم تكن هي لتعرف انها لضابط المخابرات كي يساومها عليها . وكانت الورقة التي قدمها « جان » هي الرسالة التي تلقتها من « احمد » وقد استغربت في حينها لماذا يرسل اليها رسائل .

ارتبكت الفتاة وراحت تبكي اذ ادركت انها وقعت في الفخ ، فأمسكت الصور وبدأت تمزقها ، فاستطاعت تمزيق صورتين قبل ان ينقض عليها الضابط كالمجنون وينتزع الصور والرسالة من بين يديها وصاح بها قائلاً : يا غبية ! هل تعتقدين انك لو مزقت الصور انتهت المشكلة ؟ فالفيلم عندي واستطيع الآن ان اسحب عنه الف صورة . وعاد الى مقعده وخفف حدة لهجته معها قائلاً : انا استطيع ان امزق الصور والفيلم والرسالة . . ان اردت .

توسلت الفتاة قائلة : ارجوك ان تمزقها .

ضحك الضابط وقد ادرك انه وصل الى غايته : هنالك شرط واحد كي اقوم باتلافها .

- « سناء » : ما هو ؟

- « جان » : ان تخبريني عن المتظاهرات في مدرستك .

- « سناء » : قلت لك انني لا اعرفهن .

- « جان » : بسيطة . . باستطاعتك معرفتهن واخباري بذلك .

نظرت اليه « سناء » باحتقار وقالت : أتريد مني ان اعمل معكم ؟

ـ « جان » : تماماً . هذا بالضبط ما اريده .
ـ « سناء » : اذن ، دع الصور عندك ، فقد تنفعك ولن اعمل معكم .

فطوى الضابط الصور والرسالة ووضعها في درج مكتبه وهو يقول دون ان ينظر اليها : انت حرة ، انا لا اريد هذه الصور لأنه لا حاجة لي بها . . لكنني سأعطيها قريباً الى اهلك ومعارفك .

ـ « سناء » : ارجوك ، ان لا تفعل ذلك .
ـ « جان » : اذن ، يجب ان تفعلي ما اطلبه منك . . وإلا .
ـ «سناء » : وماذا تريد ؟

ـ « جان » : ان تتعاوني معنا لمعرفة الفتيات المتظاهرات في المدارس . كما سأعطيك مقابل تعاونك مبالغ مالية لا تحلمين بها .

قالت « سناء » متحدية : افعل ما تريد . ارسل الصور الى اهلي ان شئت ولن اتعاون معكم .

وراح « جان » يصيح وهو يقول محاولاً التأثير على معنوياتها : سأعتقلك من الآن ان رفضت !

ـ « سناء » : وانا سأفضحك وسأنقل ما جرى هنا الى الصحف .

فقهقه ضاحكاً وهو يقول : لن يصدقك احد . هل لديك

دليل ؟ ثم قام وقد ادرك انها صنف آخر غير « مروان » و« احمد » اللذين استسلما لابتزازه وتهديده ، وقال لها : فكري في الأمر وسأعود بعد قليل .

من الهجوم الى الدفاع

غاب « جان » عن « سناء » حوالى ربع ساعة ، ثم عاد ليطرح عليها الموضوع مرة اخرى فوجد منها الرفض والاحتقار . وبدأ يتراجع تدريجياً امام هذا الاصرار الغريب وانتقل من الهجوم الى الدفاع فقال : انا سأتركك بشرط واحد . فقاطعته قائلة : اذا كنت ستعود الى موضوع العمل معكم فلا تتعب نفسك ، فأنا لن اعمل مع المخابرات مهما فعلت . فضحك وقال : كلا ، فأنا اريد منك ان تنسي الموضوع وسأعقد معك الآن صفقة : ان تخرجي من هذا المكتب وكأنك لم تأت ولم تريني ، وأنا من ناحيتي لن اعطي الصور والرسالة الى اهلك ، ولن يسمع احد بالموضوع . واذا سمعت انك تحدثت الى أي مخلوق حول هذا الموضوع ، فسأعتقلك في المرة المقبلة مع جميع اهلك بتهمة امنية . ولا تستغربي ان هُدِم منزلكم .

نظرت « سناء » اليه نظرة تحمل معاني الاحتقار وقالت : قلت لك ان لا علاقة لي بهذه الأمور ، وموافقة على شرطك ان لا اذكر امام احد ما جرى في هذا المكتب . فتردد قليلاً ثم قال : بالمناسبة ، من زودني بهذه الصور حسب رأيك ؟ فردت : لا أعرف .

ـ « جان » : عيناك تقولان العكس وانت تعرفين . لقد

اتفقنا واريد ان تجيبيني بصراحة وستخرجين الآن وانتهى الموضوع .

ابتسمت بسخرية وقالت : واضح ان من اعطاك هذه الصور هما « مروان » و« احمد » .

ـ « جان » : من الآن لا علاقة لك بهما ولا تذكريهما على لسانك حتى لا تضطريني الى . .

ـ قاطعته قائلة : قلت لك ان الموضوع انتهى .

ـ « جان » : والآن عودي الى بيتك واهلك ومدرستك ولا تخشي شيئاً ما دمت ملتزمة بالاتفاق . مع السلامة .

وخرجت « سناء » من مكتب الضابط وهي تشعر بالاعتزاز . فقد استطاعت ان تحبط المؤامرة وتنتصر على مجموعة الشر . واثناء خروجها من مركز المخابرات مرّت بالمطعم فرأت في الداخل « مروان » و« احمد » وهما يتهامسان ، فنظرت اليهما بازدراء ثم بصقت على الأرض وواصلت سيرها .

بعد الافراج عن « سناء » وخروجها باعتزاز من مكتب المحقق ، التزمت الصمت ولم تتحدث امام احد بما حصل سوى انها كانت تكشف عن ازدراء كلما شاهدت « مروان » او « احمد » . وكان اصرارها الجريء على رفض العمل مع ضابط المخابرات الاسرائيلية ، موقفاً مشرفاً حتى لو انها لم تذكر الحادثة في ما بعد ، والحقيقة ان الضابط عندما يئس من تعاونها ، كان يخشى على شبكته التي بدأ بتكوينها وكانت تضم « مروان » و« احمد » . ولم تكن هي تعرف سر تراجع « جان » . لكن كل ما كان يعنيها عودتها الى بيتها معززة مع عدم تعاملها مع

المخابرات الاسرائيلية . فقد خشي « جان » ان تثير الفتاة اهل البلدة ضد « مروان » و« احمد » وبالتالي يفشل كل ما حققه منذ شهور . وفي الوقت نفسه ادرك ان عملية الابتزاز كانت ضعيفة ، ولذا قرر ان يغير الأسلوب ليصبح اكثر وحشية .

بعد هذه العملية واصل « مروان » و« احمد » عملهما وقد رشحا شاباً آخر اسمه « نضال » لينضم الى الشبكة ، فأخذا يجمعان عنه المعلومات لمعرفة نقاط ضعفه . وكان « نضال » متزوجاً . ومن خلال تردده على المطعم حاول « مروان » التقرب منه لمعرفة اوضاعه الاجتماعية والمادية ومدى اهتمامه بالجنس الآخر . فعرف ان حالته المادية سيئة ، ويعمل مدرساً في احدى مدارس جنين . وكان « مروان » يرفع هذه المعلومات تدريجياً الى الضابط ، واشتكى اليه قائلاً : حاولت استدراجه الى الشقة لكنه رفض باستمرار ، فهو لا يهتم بمثل هذه الأمور ، وليس لديه اهتمام بالفتيات . فضحك « جان » وقال : هذا ليس من بني آدم .

ـ « مروان » : يقول انه مقتنع بعدم قيامه بمثل هذه الأمور .

ـ « جان » : هذه عقد ، وانا حلالها . دعك منه فأنا اقدر عليه . وخلال ايام سأجعله ينضم الى الشبكة .

ـ « مروان » : ماذا ستفعل معه ؟

ـ « جان » : دعك منه . علاجه عندي . واصل عملك اريد مزيداً من الاسماء وخصوصاً في المدارس . وكن حذراً وبالمناسبة ، كيف « احمد » معك ؟

ـ « مروان » : لقد نسي موضوع الصور ويعمل بنشاط .

ـ « جان » : « راحيل » لديها مفعول اقوى من الديناميت .

وانتهى اللقاء السريع في سيارة الضابط ، بينما كان قد اعد خطة ماكرة للايقاع بهذا الشاب ، الذي استعصى على الشبكة ولم تستطع ان توقعه في الفخ مع « راحيل » .

عنصر جديد

مع تنامي المقاومة الفلسطينية في الداخل كانت المخابرات الاسرائيلية تصعد هجومها في محاولة لكشف واختراق العمل الوطني الفلسطيني . . عبر زرع الجواسيس في كل مكان . في المرافق العامة والمدارس والخلايا الثورية . واعد « جان » خطة للايقاع بـ « نضال » في المصيدة فقام باستدعائه الى مكتبه للتحقيق معه مستخدماً الأسلوب ذاته . ودخل « نضال » الى مكتب الضابط وهو مستغرب الأمر كونه لم يفعل ما يستحق استدعاءه من المخابرات . وقد انصرف المراسل الذي ادخله الى غرفة الضابط ، فرحب به « جان » قائلاً : اهلاً وسهلاً . تفضل اجلس . فجلس على الكرسي وهو يقول : اهلاً بك . تناول « جان » القلم وتظاهر بكتابة محضر التحقيق ، وقال : ما اسمك ؟

ـ الشاب : نضال .
ـ « جان » : حسناً . هل انت متزوج ؟
ـ « نضال » : نعم وعندي ثلاثة أطفال .
ـ « جان » : كم عمرك ؟
ـ « نضال » : ثلاثون عاما .
ـ « جان » : ماذا تعمل ؟

ـ « نضال » : مدرس .

ـ « جان » : ألا تحب الثورة الفلسطينية ؟

ـ « نضال » : انا لا احب سوى عملي .

ـ « جان » : ما رأيك ان تعمل معنا ؟

أبدى الشاب استياءه من هذا الاسلوب وقال : لا اريد ان اعمل مع احد .

ابتسم « جان » وقال : هل تحب ؟

تساءل الشاب قائلاً : ماذا احب ؟

ـ « جان » : الفتيات .

ـ « نضال » : انا متزوج .

ضحك « جان » وقال : ألا يحب المتزوجون ؟

ـ « نضال » : يحبون زوجاتهم واولادهم .

احس « جان » بأن « نضال » لا يختلف عن الصورة التي رسمها عنه « مروان » ، فهو عنيد ولا يرغب في التعاون مع المخابرات الاسرائيلية ، كما كان « مروان » محقاً عندما قال انه عجز عن استدراجه . وعندما شعر الضابط بأن لا فائدة من الحديث معه ، قال له : قم معي الآن . فتساءل « نضال » بدهشة : الى أين ؟ فقام « جان » عن مقعده ثم خرج من الغرفة واشار الى « نضال » كي يتبعه . احس الشاب بالرهبة ، فقد اعتقد انه يقوده الى السجن . لكنه سلم امره لله وسار وراء الضابط الذي واصل سيره في الطابق الثاني حتى وصل الى الدرج ، وكان بين الفينة والأخرى يلتفت الى الخلف ليتأكد من ان الشاب لا يزال يسير وراءه . ووصل الى الطابق الأرضي ، فالتفت الى الشاب قائلاً له : هيا . . . الى السيارة الزرقاء .

وخرجا الى الساحة الداخلية التي تقف فيها سيارات المركز ، فاستقل الضابط احداها ومعه نضال . ثم قام باسدال الستائر الخلفية والجانبية حتى لا يراه احد وهو خارج من المركز .

وانطلقت السيارة ، وسارت في شوارع جنين ، ثم خرجت من المدينة باتجاه العفولة فيما « نضال » لم يفهم شيئاً . فقال : يجب ان افهم . . الى أين انت ذاهب ؟ فضحك « جان » وقال : لا تخش شيئاً ، فالتحقيق انتهى واريد ان اجلس معك في مكان لنتحدث . هذا كل ما في الأمر .

لكن « نضال » لم يطمئن الى هذا الحديث وبقي خائفاً والهواجس تنتابه ، حتى وصلت السيارة الى مفترق ضواحي العفولة ، وهناك اوقف الضابط السيارة ودخل ومعه « نضال » الى مكان تصدح فيه الموسيقى الصاخبة . وجلس هو والشاب حول طاولة صغيرة في احدى الزوايا بينما كان « نضال » مندهشاً لا يفهم شيئاً عن هذا التحقيق « الفني » . وراح « جان » يحدثه عن الفتيات في حين لم يستوعب الشاب الموقف وما يحصل من تحقيق في مركز المخابرات الى ملهى . ونظر الضابط الى احدى الفتيات الجميلات ففهمت نظرته وأسرعت الى حيث يجلسان ثم طلب احضار شراب ، فقال جان : اشرب يا صديقي .

ـ « نضال » : لم أتعود عليه وانا لا اشربه اطلاقاً .

ـ « جان » : جرب وستتعود عليه من الآن فصاعداً . وغمز بعينه تلك الفتاة الاسرائيلية التي تجلس معهما فما لبثت ان راحت تداعب الشاب المسكين . وكان « جان » يلتقط الصور .

ـ « جان » : هل انت سعيد يا « نضال » .

ـ « نضال » : نعم .

اثـر ذلك قـام الضابط واخـذ معه الشـاب وعاد بـه الى جنين . وقبل ان ينزل من السيارة قال له : غداً ستكون عندي في المكتب . ولم يفهم « نضال » ما يريده الضابط وما سر هذه الجلسة في الملهى . كما لم يكن في حالة يستطيع معها التفكير في شيء ، فقـد كان يشعـر بصداع في رأسـه ويقف على قـدميـه بصعوبة . فرجع الى منزله واستغرق في نوم عميق حتى صباح اليوم التالي .

وفي الموعد المحدد كان « نضال » في مكتب ضابط المخابرات وقد ادرك انه اخطأ عندما تجاوب مع الفتاة تحت تأثير الشراب . وفيما كان يشعر بالخجل من نفسه وبعقدة الذنب التي سببت له ضيقاً نفسياً كبيراً في ذلك الصبـاح ، دخل عـلى الضابط وهـو يقول في نفسه : لو طلب مني هذه المرة ان اذهب معه الى الملهى فلن أفعـل مهما حصـل . ولم يكن يعرف ان مصيبـة كانت في انتـظاره . فرحب بـه « جان » قـائلاً : اهـلاً وسهـلاً ، كيف احوالك اليوم ؟

ـ « نضال » : بخير .

ـ « جان » : كيف كانت جلسة الأمس في الملهى ؟

لم يكن « نضال » يريد ان يتذكر تلك الجلسة وما جرى هناك فقال باقتضاب : كانت جيدة .

ـ « جان » : يعني ، انك مبسوط ؟

ـ « نضال » : نعم .

صمت « جـان » قليلاً ثم اضـاف : بالمنـاسبـة ، ألا زلت ترفض العمل معنا ؟

ـ « نضال » : قلت لك انني لا اعمل مع احد .

قـال الضـابط وهـو يتنـاول مجمـوعـة من الصـور من درج مكتبه : انت حر . . لا تريد ان تعمل ؟ على راحتـك . لكن انظر الى هذه الصور ، اعتقد انها جميلة .

تناول الشاب المجموعة وبدأ يتمعن فيها فـانتفض مذعـوراً وقال : ما هذه الصور ؟ انها صوري مع الفتاة . كيف حصلت عليها ؟! كيف قمت بتصويرنا ؟!

قال « جان » بهدوء : هذه اسئلة فـارغة ولا تهمـك معرفـة اجوبتها . فأنت لم تسأل السؤال الأهم .

حدق « نضال » قائلاً : ما هو السؤال الأهم .

ـ « جان » : ماذا سأفعل بهذه الصور ؟ وانا سأجيبـك عن هذا السؤال يا صديقي . سأرسـل نسخاً عنهـا الى زوجتك ، وطبعـاً سيحصـل الـطلاق حتـماً . تصـور منـظر اولادك وهم يشاهدون صور ابيهم هذه وكذلك العائلة واهل بلدك . وبعد ذلك سأكمل العملية بنشـرها في الصحف . وانت تعـرف ان لدينا مجلات متخصصة بهذا النوع من المواضيع الجميلة .

ثم اضاف : باختصار انها فضيحة كبرى .

ـ « نضال » : لماذا ستفعل كل ذلك ؟

ـ « جان » : لأنك لم تسمع كلامي . فالأمر بيدك انت فإذا عملت معي سأمزق الصـور ولن يعلم احد بـالموضـوع . وان

رفضت العمل او كذبت علي تعرف البقية . ودع قناعاتك تنفعك .

استسلم الشاب للابتزاز الذي مارسه الضابط فأطرق برأسه وقال : انا تحت امرك .

امسك « جان » مجموعة الصور ودسها في درج المكتب وهو يقول : ممتاز . . الآن اصبحت عاقلاً ، وسنبدأ العمل وانس موضوع الصور .

وبعد برهة قال له : انتظرني فسأعود بعد لحظات وكان « مروان » في الغرفة المجاورة في انتظار هذه اللحظة ، لحظة انضمام عنصر جديد الى الشبكة ، فدخل الضابط ومعه العميل ثم اغلق الباب وقال : اعتقد انكما تعرفان بعضكما بعضاً ؟ فهز « نضال » رأسه وقال : هذا انت ؟ سبب المصائب ! فضحك « جان » وقال : يا رجل . . لا مصائب ولا حاجة . مروان يعمل بنشاط وأريدك ان تصبح مثله نشيطاً مخلصاً ثم ستعمل معه . فرد « نضال » : كما تريد .

تناول « جان » مبلغاً من المال واعطاه الى « نضال » قائلاً : انفق هذا المبلغ على شؤونك وستحصل على اكثر منه بكثير اذا كنت نشيطاً .

حادث خطير

اصبحت الشبكة تضم ثلاثة اعضاء ، وأخذت تقوم بالمهمات الموكلة اليها من قبل المخابرات الاسرائيلية . وقد استمرت فترة في التجسس على المجموعات الوطنية في المدارس

والخلايا الثورية العاملة في المدينة ، كما قامت نتيجة لهذه المعلومات التي حصلت عليها الشبكة باعتقال عدد كبير من الشبان المناضلين . وفي احد الفنادق في مدينة العفولة اجتمع الثلاثة ، اعضاء الشبكة ، « مروان » و« احمد » و« نضال » .

قال « مروان » : استطعتم تحقيق نجاح باهر في مهماتكم التي كلفتم بها ، وقد سرّ « جان » كثيراً واعطاني كمية من الفلوس لنتصرف بها كما نشاء . وهو يشكركم على جهودكم وانا اشكركم نيابة عنه وسيلتقي بكم عما قريب .

تردد « احمد » قليلاً ثم قال : قبل ايام ، واثناء توجهي في الليل الى الشقة ، صادف ان كانت « راحيل » تسير امامي ، ولم اتحدث معها في الشارع حسب التعليمات . وكان يفصلني عنها شاب في العشرينات من العمر ، اسمر البشرة وقد ظننت انه يسير صدفة ولم اعر الأمر اهتماماً . وعندما دخلت « راحيل » من الباب دخل خلفها وقد اعتقدت آنذاك انه من سكان العمارة ولكنني شاهدته يصعد الدرج خلفها بطريقة مريبة ويصغي السمع لدى توقفها لفتح الباب . وما ان دخلت واقفلت خلفها حتى استدار الى الوراء واصبحت وجهاً لوجه معه . فحدق اليَّ لحظات ثم نزل مسرعاً واختفى في الظلام .

قال « مروان » بعصبية : وهل عرفك ؟

ـ «احمد » : بالتأكيد شاهدني كما قلت لكما . لكنه لم يعرف اسمي فقد عرفني شكلاً وانا اعرف شكله ولن يغيب عني . ولا اذكر انني شاهدت هذا الشخص من قبل .

ـ « مروان » : ولماذا لم تخبرنا من قبل ؟

ـ « احمد » : لم اجرؤ على ان اتكلم خوفاً من التوبيخ .

ـ « مروان » : يا سلام ! بهذه الطريقة سنكتشف ويفتضح امرنا ، مما سيشل قدرتنا على التحرك ويضع الشبكة في خطر ، ألا تعرف يا « احمد » ان نجاحنا مرتبط بعنصر اساسي هو السرية ؟ فإذا عرف الناس اننا نعمل لصالح المخابرات الاسرائيلية لن نستطيع الحصول على اية معلومات اننا كما تعرف نستغل ثقة الناس بنا ونتعامل معهم كأننا وطنيون ولا يخطر ببال احد ما هي حقيقتنا . اضف الى ذلك ان اكتشافنا من قبل الناس سيعرضنا للقتل من قبل الخلايا الثورية العاملة هنا .

ـ « نضال » : ما هو الحل اذن ؟ كيف ستتصرف ؟

ـ « مروان » : سنطارد هذا الوغد ونوقع به لنلقنه درساً لن ينساه . وعليكم الحذر وارشادنا اليه والتخفي عند قيامنا بأي مهمة . وسأخبر « جان » بهذا الحديث قبل كل شيء ، حتى يرشدنا الى الطريقة التي سنتصرف بها .

وكان « مروان » قد اصبح زعيماً لهذه الشبكة ، وهو الوحيد المخول الاتصال بضابط المخابرات الاسرائيلية . فبعد هذا الاجتماع الذي عقده اعضاء الشبكة في العفولة في الأراضي العربية المحتلة منذ ١٩٤٨ ، ذهب كل منهم الى عمله باستثناء « مروان » الذي اتصل بـ « جان » فحدد له موعداً مساء ذلك اليوم عند الساعة التاسعة والنصف .

وفي مكان ما من جنين كان « مروان » ينتظر في الشارع وصول سيارة الضابط . ولم يتأخر « جان » ففي الموعد المحدد

كانت سيارته تقف بالقرب من « مروان » الذي صعد اليهـا ، وانطلقت بهما في شوارع جنين ، ولم يفضل الضابط ان يتوجها الى الشقة .

قال « جان » : ملامح وجهك تشير الى انك غير مـرتاح . ماذا حصل ؟ فراح « مروان » يسرد الحكاية التي تتعلق بموضوع الشاب المجهول الذي سار وراء « راحيـل » حتى وصولهـا الى الشقة . وبعد ان انتهى قال « جان » : حسناً . . يجب عليكم ان تتبعوا هذا الشخص وتراقبوه بدقة وحاولوا ان تعرفوا اسمه ثم كونوا حذرين لدى القيام بأي مهمـة ، وستتعاون في رسم خطة لتأديب هذا الوغد ■

مجهول يراقب الشبكة

ابـدى الضـابط « جـان » اهتمـامـه بـالحـادثـة وطلب من « مـروان » ان يـوجـه اعضـاء الشبكـة للبحث عن الشـاب المجهول . وقال « مروان » متسائلاً : لماذا تعتقد انه كان يراقب « راحيـل » ؟ فرد « جـان » : الآن لا استـطيـع ان اقـول أي شيء ، وعنـدما نتعـرف عليه سـأحدد لـك المـوضـوع وكيف ستتصرف معه .

في تلك الفترة (١٩٧٣) بدأت اجهـزة الرصـد الفلسطينيـة تقييم الوضع الأمني على الساحة في منطقة جنين ، لاسيما بعد اعتقال العديد من المجموعات الوطنية . وكانت نتيجة التقييم تشير الى ان هناك خللاً مـا واتجهت علامـات الاستفهام نحـو « مروان » ، ولكنها كانت نابعة من استنتاجـات في حاجـة الى تأكيد وادلة ملموسة .

غير ان حادثة « سناء » غيـرت مجرى التحقيق الـذي كانت الأجهزة الفلسطينيـة في الخارج قـد فتحته في جنـين من خلال اعضائها ، عندما اسرت الفتاة الى احـد الشبان الـوطنيين عن حادثتها مع ضابط المخابرات الاسرائيلية ومحاولة ابتزازها ودور « مروان » و« احمد » في العملية . وقد رفع الشاب تقريره حول هذه المسألة الخطيـرة الى التنظيم ، الـذي نقل المعلومـات الى

الأجهزة الفلسطينية لتتولى متابعة الموضوع . وبعد فترة دامت عدة اشهر من المراقبة الدقيقة شملت « مروان » و« احمد » ، وكذلك التعرف على الشقة التي يترددان عليها ، تم التوصل الى الشريك الثالث وهو « نضال » . وصدرت التعليمات بمعالجة الموضوع عبر اختراق الشبكة لمعرفة نشاطاتها واعضائها ، وهي معلومات لا يمكن الحصول عليها دون هذه العملية . ثم نوقشت خطة لدفع احد الشبان الى هذه الشبكة بطريقة سليمة . وقد قامت الأجهزة الفلسطينية بترشيح « خالد » للمهمة . وحسب الخطة ، حاول هذا الأخير لفت المخابرات الاسرائيلية اليه عبر مراقبته الفتاة الاسرائيلية « راحيل » بطريقة استفزازية .

وفي بيت العميل « احمد » اجتمع افراد الشبكة بعد لقاء « مروان » مع الضابط الاسرائيلي لدراسة المشكلة ، فأخبرهما بما جرى في لقائه مع « جان » فقال « احمد » : هل هو غاضب علي ؟

ـ « مروان » : لماذا ؟

ـ « احمد » : لأنني لم ابلغكم الموضوع فور حدوثه .

ـ « مروان » : الوضع قد يكون أخطر مما تتصور وقد يكون بسيطاً للغاية ، ولكن ليس المهم الآن ، رضى « جان » او غضبه بل العثور على الشخص في أسرع وقت وبأي شكل . فقد ابلغني « جان » وقف كل نشاطاتنا حتى اشعار آخر .

ـ « نضال » : وماذا سنفعل ؟

ـ « مروان » : لدينا جميعاً مهمة واحدة هي البحث عن الشبح .

ـ « نضال » : قد يكون هذا الشخص فضولياً ؟

ـ « مـروان » : وقد لا يكـون . وهذا هـو الأخـطر . هـل تتذكره يا « احمد » ؟

ـ « احمد » : نعم ، بالتأكيد . ولن تغادر مخيلتي صورته .

وتذمر « نضال » من هذه المهمة العسيرة فقال : ان ما يطلبه « جان » امر مستحيل ، وسنصبح كمن يبحث عن ابرة في كومة من القش .

هـذه عملية صعبـة للغايـة . فاستشـاط « مـروان » غضبـاً وقال : كان من المفروض ان لا تتركه يذهب يا « احمد » .

ـ « احمـد » : وهل امسـك به ؟ وبـأي صفة ؟! ولعله قـد يشك اكثر .

ـ « مروان » : وهل كان من المفروض ان تمسكـه يا غبي ؟ بل تتبعه لتعرف مسكنه فقط .

وصاح « احمد » في وجه « مروان » قائلاً : انـا غبي فعلاً ، لأنني شـاركتكم في هذه المهـزلة . ليتني لم اوافقكم ولم اعمـل معكم . ولكنـك يـا « مـروان » انت السبب في كـل هــذه المصائب . فتراجع « مروان » نتيجة هذا الهجوم المفاجىء وقال بخبث : يا اخي ، سنعود الى هـذه الاسطوانـة . انا ضحيـة مثلكم ، وانفذ الأوامر مثلكم تماماً ، والفرق بيني وبينكم انني كنت الأول . ثم لـماذا لم ترفض التعـامل مـع المخابـرات امام « جان » ؟ هناك تـوافق وتأتي لتتهمني هنـا ! على كـل حال ، سامحك الله والمهم الآن ان نجد ذلك الوغد . ثم راح يشـرح مخاطر الحدث المفاجىء الذي اربك العمل كله ، وانه يخـطط

مع « جان » لإبعاد شر هذا الغريب عن الشبكة ، لأن الخوف هو ان يكون قد افتضح امـر الشبكة في جنـين . ثم اضاف : والآن يجب ان نتفق على خطة للبحث عنه .

ـ « نضال » : ماذا تقترح ؟

ـ « مروان » : في الصباح سنرتاد المقـاهي جميعاً ، وبعـدها نسير في الأزقة والشوارع حتى الساعـات الأولى من الصباح ، ومن ثم نبحث في المتنزهات . وفي الليل ندخل دور السينما . في اليوم الثاني نعكس برنامجنـا لمدة اسبـوع كامـل ، ووجباتنـا ستكون في المطاعم .

ـ أبدى « احمد » اعجابه بالبرنامج ، فقال : انك ذكي جداً وسنباشر عملنا من الآن فالساعة تشير الى التاسعة صباحاً .

ـ « نضال » : من اين سنبدأ ؟

ـ « مروان » : من « مقهى النباتات » .

في « مقهى النبـاتـات » راح اعضـــاء الشبكـة « مـــروان » و« أحمد » و« نضال » يقرأون الصحف ويشربون القهوة حـول طاولة صغيرة على الرصيف وعيونهم ترقب المارة مثل الرادار . وبعد حوالي نصف ساعة ، قال « مروان » مـوجهاً حـديثه الى « احمد » : يجب عليك عدم اغفال أي شخص يمر امامنا لكي نقلل ايام المراقبة ، وخصوصاً أنك انت الوحيد الـذي شاهـد الرجل وعرف شكله . فانتبه جيداً .

ـ « احمـــد » : انني أراقب بشكـــل جيـــد ودقيق واتفحص الوجوه والمارة .

ومضت الدقائق بطيئة ، ثم مرت الساعة الأولى والثانية ولم

يعثروا على الشخص المطلوب . وبعد ذلك نهضوا للتجول في الشوارع والأزقة والمحلات ، حسب البرنامج . وفي الشوارع كانوا ينظرون الى كل شخص يعبر. وعند الثانية بعد الظهر دخلوا الى احد المطاعم حيث اكلوا وملأوا بطونهم . واثر ذلك توجهوا الى المنتزه وبقوا هناك حتى الغروب . ولما لم يعثروا على الشخص المطلوب قرروا الذهاب الى السينما . وهكذا انتهى اليوم الأول دون جدوى .

وفي صباح اليوم التالي عكس الثلاثة برنامجهم دون جدوى . ومرّ اليومان الثالث والرابع دون العثور على الشخص المجهول . وكانت الخطة التي وضعتها الأجهزة الفلسطينية تقتضي ان يختفي « خالد » طوال هذه الأيام واكدت المعلومات الصادرة عن المراقبة انهم كانوا يبحثون طوال اليوم عن امر ما من خلال هذا التجول في كل ارجاء المدينة . وفي اليوم الخامس اثناء مرورهم المنتظم منذ اربعة ايام ، بالقرب من محطة « باصات ايجد » الاسرائيلية التي تنقل العمال العرب يومياً في الصباح الى المصانع في الداخل ، وتعود بهم في المساء الى مساكنهم ، نظر « احمد » كالعادة نحو موقف الباص ، وكانت المفاجأة ، فهتف بصوت يكاد يكون مسموعاً من المارة : « انظروا ، إنه هو . فقد نزل من الباص لتوه » . وهمس « مروان » اخفض صوتك يا ابله ، فقد اربكتنا ! قال « احمد » : هل نتبعه ؟ رد « مروان » : لا فسيعرفك اذا رآك بل اذهب انت الى بيتك وسأتبعه مع « نضال » .

انسحب « احمد » بسرعة مغادراً الى منزله ، في حين سار « مروان » و« نضال » خلفه ، حتى عرفا مكان سكنه . وعندما

تأكدا من دخوله المنـزل ، اقترب « مروان » من احد الصبية الذين كانوا يلعبون في الشارع وسأله عن اسم صاحب المنـزل فأخبره بأنه يدعى « خالد عبود » . وبعدئذ عـاد كل منهما الى منزله فرحاً بما حققه . وفي اليوم التالي اجتمع « مروان » بضابط المخابرات الاسرائيلية ليبلغه المعلومات التي حصل عليها .

قـال « جان » : اهـلا وسهلا . يبـدو لي انك تعـرفت على الشخص المطلوب !

ابتسم « مروان » وقال : من قال لك ؟

ـ « جان » : ملامح وجهك تدل على انـك سعيد ، وهـذا يعني انك قد امسكت الهدف .

ـ « مروان » : نعم ، لقد عرفت اسمه وعنوانه وعمله .

اوقف « جان » السيارة في مكان بعيد خارج المدينة ، وتناول قلماً وورقة عادية وراح يكتب اسم الشخص وبقية المعلومـات التي حصلت عليها الشبكة . وقال : الآن عليك ان تعرف كل شيء عن « خالد » قبل ان نبدأ تنفيذ الخطة المطلوبة .

ـ « مروان » : ماذا تقصد ؟

ـ « جـــان » : اريـد ان تبحث عن خصـــوصيـاتـــه ومـاذا يتعاطى ؟ وماذا عن حالته المادية والاجتماعية ؟ كـل ذلك كي نحدد نقاط الضعف . ويجب ان تبلغني ذلك اولاً بأول لنتعاون على رسم خطة مناسبة . وانا من جانبي سأقوم بتحرياتي حول هـذا الشخص . وحذار ان تقعـوا في مثل هـذه الأخطاء مـرة ثانية .

وبعـد اسبوع من البحث والتقصي استـطاعت الشبكـة ان تجمع بعض المعلومات عن حالة « خالد » المادية التي دلت انها متدنية جداً ، ويعمل في احد المصانع الاسرائيلية في ناتـانيا ، وهو يبلغ الثامنة والعشرين من العمر . فرفـع « مروان » هـذه المعلومات رغم قلتها الى « جان » .

خطة العمل

وبعد ان قام ضابط المخابرات الاسرائيلية بدراسة المعلومات المتوافرة وضع خطة للايقاع بهذا الشاب الفلسطيني في المصيدة . وتقتضي الخـطة ان يتقرب « مـروان » منه بشكـل تـدريجي . وبترتيب من « جان » مع ادارة المصنع الاسرائيلي الـذي يعمل فيه « خالد » سيقوم « مروان » بالعمل في هذا المصنع ويتعرف على الشاب هناك ثم يبدأ بالتقرب منـه . وخلال ذلـك يغدق « مروان » عليـه المال لكسب وده . وبعد عشرة ايام عنـدما تتوثق العلاقة بينهما حسب الخطة المرسومة يفتعل مشاجـرة مع صاحب العمل مما يجعل الأخير يطرده من العمل . وبعد ذلك تستمـر العلاقـة بينهما في جنـين ليتم تنفيذ الجـانب الثـاني من الخطة . وخلال ذلك يكون « مروان » قد عرفه عن قرب .

وفي صبـاح اليـوم التـالي كـان « مـروان » واقفـاً في محــطة الاوتـوبيس مع العمـال ومن ضمنهم « خالـد » الـذي مـا ان شـاهـده حتى ابتسم وقـال في نفسـه : انت شــرفت ؟! لكن « مروان » لم يتحدث معه بل صعـد بشكل عـادي مثل سـائر العمال الى « الباص » الذي اقلهم الى المصنع في ناتانيا . وفي ذلـك اليـوم تسلم « مـروان » العمـل ، وتـرك التعـرف عـلى

« خالد » ليأتي من خلال احتكاك الزمالة والعمل . وفي الوقت نفسه كان « خالد » يمثل الدور باتقان . وسمح له بطريقة غير مباشرة ان يتعرف عليه ويتقرب منه .

وبعد ايام قليلة توطدت العلاقة بين الاثنين وباتا يتبادلان الزيارات خارج اطار العمل ، بعد عودتهما يومياً الى جنين . كما راح « خالد » يتردد على مطعم « مروان » بشكل شبه يومي في المساء ويجلس معه . وعندما حققت العلاقة بينهما هذا الطور قام « مروان » بافتعال مشاجرة مع صاحب العمل حيث قام بطرده ـ حسب الخطة . فعاد الى مطعمه ليمارس عمله كالعادة ، في حين كان « خالد » لا يزال يتردد عليه ويظهر تعاطفه معه نتيجة طرده بينما كان هو يعلل قضية الطرد بأنها سوء حظ يطارده في كل مكان يعمل فيه . وكان في الوقت نفسه يدرس الضحية الجديدة عن قرب ومن جميع النواحي ، ويرفع المعلومات الى « جان » الذي أصدر تعليماته بالبدء في تنفيذ الجزء الثاني من الخطة ، قائلاً لـ « مروان » : عليك الآن ان تعرف بطريقة غير مباشرة اهتماماته الخاصة ما دام لا يشرب ولا يتعاطى المخدرات . والأهم ان نفهم ما سر سيره وراء « راحيل » في تلك الليلة . واحذر ان تجعله يشك في انك تعرف شيئاً عن الموضوع .

فاستفسر « مروان » : كيف ؟! رد « جان » : بسيطة . قل انك تعرف فتيات . ومن خلال ذلك حاول ان تفهم اهتماماته بهذه المسألة . ثم اخرج من العموميات الى الخصوصيات ، ان وجدت تجاوباً منه بحيث تقول له انك تتردد على شقة في الحي الفلاني من المدينة مع اصحابك حيث تقيمون سهرات صاخبة

دون ان تذكر امامه عنوان الشقة بالضبط . فإذا كان ذهابه الى ذلك المكان قد تم فقط لمطاردة « راحيل » كمجرد فتاة فسيذكر لـك مـا حـدث ، وان لم يتحـدث ، فـالأمر مختلف . هـل فهمت ؟! فأبدى « مروان » اعجابه بالخطة قائلاً : عقلك كبير يا معلم ! واضاف « جـان » : بعد ان تفهم منـه هذه النقـطة تأتيني وتحدثني عما حصل . وبعدها يبقى الجزء الثالث والأخير من الخطة ، وهو اما ان يكون اصطياده في الشقة او اعتقاله .

حوار ملغوم

راح « مروان » يتحدث مع « خالـد » عن الفتيات ليعـرف مدى رغبته على هذا الصعيد . وبدأ يسرد امامه قصصاً حـول هذا الموضوع . وفهم « خالد » مغزى هـذه الاحاديث فسهـل عليه المهمة قـائلاً : لقـد حاولت احـدى المرات الايقـاع بفتاة لكنني خفت في النهاية . فسرّ « مروان » كثيراً من هذا المدخل واستفسر قـائلاً : من هي ؟ كيف حصـل ذلـك ؟ لقـد كنت اظنـك لا تحب هذه الأمـور . هنا ضحـك « خالـد » وقال : كانت تجربة واحدة وفاشلة . والحكاية انني كنت اسير في احدى الليالي في الشارع فشـاهدت فتـاة تبدو مـلامحها غـير عربيـة ، فاستغربت وجودها في ذلك الشارع ليـلاً ، وكان واضحـاً من ملابسها وحركاتها انها « فتاة شارع » . فقاطعه « مروان » بلهفة واضحة : كيف ؟ ماذا حصل ؟ رد « خالد » : سرت وراءهـا وحاولت ان اكلمها ، لكنني لم اجرؤ على ذلك فواصلت السير على امل ان اجد فرصة للحديث معها ، فقد ظننت انها تبحث عن صديق ، وقلت انها فرصة لا تعوض غير انها توجهت الى شقة في احدى العمارات وشاهدتها وهي تدخل اليها ، واعتقد

انه بيتها . فخشيت ان يراني احد من عائلتها فاقع في مشكلة وفضيحة . لذا عدت ادراجي وانتهى الأمر .

واغتنم « مروان » الفرصة فقال : هل هي شقراء ؟ نحيفة القوام ؟

فتظاهر « خالد » بالدهشة وقال : نعم ، هل تعرفها ؟ فقهقه « مروان » وقال : ذهبت الى بيتها ؟ انت مغفل !

ـ « خالد » : ماذا تقول ؟

ـ « مروان » : انها ، كما اعتقدت تماماً ، من « فتيات الشارع » . لم تخطىء ابداً ، وان اردت ان تجلس معها فأنا جاهز ، والشقة التي دخلت اليها تخص صديقاً لي .

ـ « خالد » : احقاً ما تقول ؟ ما هذه الصدفة الغريبة ؟

ـ « مروان » : العالم صغير جداً يا راجل ! ومدينتنا اصغر بكثير .

ـ « خالد » (مبدياً اندهاشه) : وهل تعرف هذه الفتاة حقاً ؟ انها جميلة .

ـ « مروان » : (بتفاخر) : نعم ، وهل هناك فتاة لا اعرفها ؟ فهذه ليست عربية ، انها اسرائيلية !

ـ « خالد » : معقول ؟

ـ « مروان » : واذا شئت سأجعلك تجلس معها . . وابعد من ذلك ان شئت ومتى اردت !

ـ « خالد » : (بتردد) ـ ولكن ، اخشى ان يرانا احد وستكون فضيحة .

ـ « مروان » : ولا يهمك ، دع هذه الأمور ولن يحصل ما تخشاه .

ـ « خالد » : (ضاحكاً) : يبدو لي انك شخص موثوق به في عالم النساء .

وبعد ان بلغ « مروان » هذه المرحلة ، عاد الى « جان » الذي كان سعيداً بالنتيجة وطلب منه ان تستعيد الشبكة نشاطها دون خوف . كما طلب منه ان يستدرجه الى الشقة ليقع في الفخ . ومضت عدة ايام فجاء « مروان » يقول لـ « خالد » ان هناك سهرة في الشقة مع الفتاة التي شاهدها ليلاً ، فهل سيأتي ؟ وتردد « خالد » وقال : هل انت مصر على مجيئي ؟ فراح « مروان » يشجعه قائلاً : تمتع بحياتك يا رجل !

وكانت الأجهزة الفلسطينية على علم كامل بهذه الخطوات وبدأ الصراع محتدماً بين الجهازين . غير ان المخابرات الاسرائيلية لم تكن تعلم ان الفخ الذي نصبته هو في الحقيقة مصيدة كبيرة وقعت فيها . وفي الموعد المحدد ، كان « خالد » يطرق على باب الشقة فأسرع « مروان » يفتح الباب . ودخل الشاب فقال « مروان » : تفضل . . صديقتي « راحيل » . . صديقي « خالد » . ووقعت عينا الشاب على الفتاة الشقراء وهي جالسة في الصالة بشكل فاضح ، فابتسم وقال لها : شالوم ! فحيته بابتسامة عريضة واشارت بيدها ليجلس بجانبها وهي تقول : شالوم . وبعد فترة اقتربا من بعضهما بعضاً . وعلى حين غرة دخل « مروان » وراح يلتقط الصور ، وكان « خالد » قد رآه وتظاهر بأنه لا يدري ما يدور حوله .

بعد هذه السهرة بعدة ايام ، كان الضابط « جان » قد

استدعى « خالد » للتحقيق معه بالأسلوب ذاته . فدخل الشاب الى مكتب الضابط الذي كان جالساً وراء طاولته وهو يتظاهر بأنه غير مكترث لوجوده . فأمسك القلم ووضع الأوراق امامه ثم قال : اهلاً وسهلاً .

- « خالد » : اهلا بك .
- « جان » : ما اسمك ؟
- « خالد » : خالد عبود .
- « جان » : ماذا تعمل ؟
- « خالد » : عامل في مصنع .
- « جان » : وغير العمل ماذا تفعل ؟
- « خالد » : لا شيء .
- « جان » : ألا تحب الثورة الفلسطينية ؟
- « خالد » : انا لا احب سوى عملي .
- « جان » : ما رأيك في أن تعمل معنا ؟
- « خالد » : انا في حالي ، ولا اريد ان اعمل مع احد .

ابتسم « جان » وقال : والفتيات ؟ هل هن عملك الآخر ؟

- « خالد » : أي فتيات ؟!

وبكل هدوء أخرج « جان » من درج مكتبه عدة صور وقال للشاب : انظر الى هذه الصور . منظرك جميل ، أليس كذلك ؟ بالتأكيد ستغير رأيك بعد رؤيتها .

تناول الشاب مجموعة الصور التي التقطها « مروان » في الشقة وكانت صوراً لأوضاع فاضحة فتظاهر بالانفعال وقال : فهمت كل شيء ! وحدق اليه « جان » وقال : ماذا فهمت ؟

ـ « خالد » : هذه الصور من « مروان » .

ـ « جان » : من قال لك ذلك ؟

ـ « خالد » : وهل تعتقد ان الأقمار الصناعية التقطتها ؟

ـ « جان » : هذا غير مهم . ألم تفكر ماذا سأفعل بهذه الصور ؟! أنا أجيبك . سأوزعها على اهلك واصدقائك والصحف ايضاً .

وهنا توسل اليه الشاب قائلاً : ارجوك ان تمزقها لماذا تفعل معي هكذا ؟

ـ « جان » : لأنك لم تسمع كلامي . واذا اثبت حسن نواياك ، سأمزق هذه الصور . ولا تقلق .

ـ « خالد » : كيف سأثبت حسن نواياي ؟

ـ « جان » : ان تعمل معنا . ماذا قررت ؟ لديك خياران ، فإما العمل معنا او الفضيحة ، ماذا تقول ؟

وراح « خالد » يتوسل الضابط قائلاً : ماذا سأفعل ؟ ارجوك اتركني فأنا لا علاقة لي بهذه المسائل وقد لا تستفيد مني لأنني لا اعرف شيئاً مما يدور هنا ولا علاقة لي بأحد . إنني اعود الى منزلي في المساء كل يوم ولا وقت لدي لهذه الأمور . فقاطعه « جان » هذه مسألة انا احددها ، وليس انت . وستعمل معنا حتى لا يفتضح امرك . وتقول لي انه لا يوجد لديك وقت للعمل معنا ؟ لديك وقت لعمل ماذا اذن ؟ لملاحقة بنات الناس ؟ ثم اضاف : هل ستعمل ام لا ؟

اطرق « خالد » وقال : انا تحت امرك فليس امامي غير ذلك .

ـ « جان » : حسناً . اريدك ان تكون عاقلاً . لماذا تجلب الفضيحة لنفسك ولأهلك ؟ فمن الآن وصاعداً ستعمل مع « مروان » وستتلقى تعليمات منه . اياك ان تحاول ايذاءه ، ففي هذه الحالة لن اوزع الصور فقط على اهلك ومعارفك والصحف ، بل سأعتقلك خلال ساعات . هل تفهم ؟ وان كذبت علي ايضاً فستلقى المصير ذاته .

ثم ضغط « جان » على الجرس فجاءه المراسل فقال له : احضر لي الشاب الذي ينتظر في الغرفة الأخرى .

وبعد لحظات دخل « مروان » بكل براءة وكأنه لا يدري شيئاً . وما ان شاهد « خالد » حتى مد يده مصافحاً وهو يقول : انت هنا ؟ ماذا تفعل ؟ فنهض « خالد » من مكانه وصاح به : أنت يا وغد ! عندئذ ضرب « جان » بقبضته على الطاولة وقال : ما هذا ؟ ماذا تقول ؟ انسيت الصور يا غبي ! ثم اضاف : تقدم واعتذر من « مروان » .

نظر « خالد » الى الضابط فرآه يشير اليه ان يتقدم ليعتذر من « مروان » . وتقدم نحوه كأنه يفعل ذلك على مضض وقال : انا آسف !

ـ « جان » : انتهينا . اياك ان تتعرض له ، والآن اصبحنا مجموعة تعمل معاً هيا وتفاهم معه يا « مروان » وسأعود بعد قليل لأجدكما وقد تفاهمتما على العمل . هيا .

خرج الضابط من المكتب ، فبدأ « خالد » يشتم « مروان » ويقول له : انت مجرم وحقير . لماذا فعلت معي هكذا ؟ فحاول « مروان » تهدئته قائلاً : انا ضحية مثلك تماماً وثق تماماً ان

المخابرات الاسرائيلية هي التي تريدك ، وانا كنت مجرد وسيلة للايقاع بك لا أكثر .

واحس « خالد » بسعادة كبيرة وهو يسمع هذا الكلام ، فقد تأكد من ان الخطة التي وضعتها الأجهزة الفلسطينية كانت ناجحة الى ابعد حد . غير انه تظاهر بالغضب وقال : لكن لماذا وافقتهم على الايقاع بي ؟ فرد « مروان » : لا يوجد امامنا غير ذلك هل تريد الفضيحة ؟ فأنا حصل معي ما حصل لك تماماً ، ويجب ان نستسلم للأمر الواقع . وبهذا الأسلوب راح يقنع « خالد » بأنه لا فائدة من التمرد . حتى قال الأخير في النهاية : موافق على كل ما تريد .

عميل مزدوج

وواصلت الشبكة عملها في جنين . وكانت ترد على الأجهزة الفلسطينية تقارير منتظمة من « خالد » حول نشاط هذه الشبكة وجرائمها . وقد استطاعت الأجهزة الفلسطينية بعد ان وضعت يدها على نشاط الشبكة التخريبية ان تنقذ العديد من الشبان الفلسطينيين من الوقوع في المصيدة التي كانت تعدها لهم المخابرات الاسرائيلية . كما راحت تزود المخابرات الاسرائيلية بمعلومات تضليلية حول قضايا عديدة عبر « خالد » . وفي الوقت ذاته حاول هذا الأخير من خلال وجوده داخل الشبكة ان يعيد العديد من اعضائها الى الصف الوطني فقاموا بدوره ذاته . غير ان اثنين بقيا على ارتباط كامل بالمخابرات الاسرائيلية هما « مروان » و« أحمد » .

وكانت المهمات التي اوكلت الى الشبكة خلال هذه الفترة

هي مراقبة النشاطات الوطنية داخل المدارس ، ومعرفة الشبان المنتمين الى الثورة الفلسطينية . لكن ادارة الشبكة بقيت خاضعة لـ « مروان » الذي كان على اتصال مباشر مع ضابط المخابرات الاسرائيلية « جان » . بينما كان الأخير يلتقي اعضاء الشبكة في فترات متفاوتة . وكانت الشبكة هي الرئيسية في جنين وترتبط مباشرة بالضابط « جان » الذي كان يشرف على نشاطاتها وقد ضمت حوالى عشرة شبان في مرحلة لاحقة تم تجنيدهم بالأسلوب الذي أوردنا امثلة عنه .

إلا ان « جان » اراد توسيع شبكته لتضم نوعيات مختلفة واكثر بكثير من حجمها الحالي من خلال الايقاع بالطلبة الفلسطينيين . وقد نجح في بعض الحالات وفشل في حالات عديدة بسبب دخول الأجهزة الفلسطينية على الخط بطريقة غير مباشرة . ورغم ذلك كان نشاط الشبكة مسيطراً عليه من قبل الأجهزة الفلسطينية باستثناء « مروان » وقلة قليلة انحرفت تماماً .

وكان « جان » يحاول ان يوسع الشبكة باتجاه آخر لتضم نوعيات اخرى ، وفي مواقع للعمل مختلفة . وفي لقاء مع « مروان » قال له : اتعرف صاحب السيارة « التاكسي » الحمراء الذي يعمل على خط جنين ـ حيفا ؟

ـ « مروان » : كلا .

ـ « جان » : بسيطة باستطاعتك معرفته بسهولة . نريده ان يعمل معنا .

ـ « مروان » : كيف ستقنعه بذلك ؟ هل تريد ان اتبع معه

الأسلوب ذاته في الشقة مع الآخرين ؟

ـ « جان » (ضاحكاً) : كلا . فهذا لا تنفع معه النساء .

وتناول الضابط مسدساً وقال له : خذ هذا المسدس .

ـ « مروان » : ولماذا ؟

ـ «جان » : سأقول لك . فقد اعددت له خطة بارعة وانت ستنفذها . وسأطلعك الآن على الجزء الأول منها . فاسمعني جيداً ■

بنت ١٩ في الشرك

راح جان يشرح الخطة امام مروان قائلاً : تنتقل الى الكراج وتصعد الى السيارة الحمراء وتقول للسائق انك ذاهب الى مدينة حيفا . وعندما تجد الفرصة تضع هذا المسدس في جيب السيارة . ولما تصل الى حيفا وتهم بالنزول افتح الجيب واصطنع الدهشة والمفاجأة وقل له : ما هذا ؟ ثم ترى بعدها رد فعله ، وتخبره انك ستتدبر امر المسدس .

ـ « مروان » : وماذا بعد ؟

ـ « جان » : تأتيني بالمسدس الى هنا وسأخبرك في ما بعد الجزء الثاني من الخطة .

وحسب الخطة المرسومة ، وضع مروان المسدس في جيب سترته وتوجه الى كراج سيارات حيفا في جنين . ثم راح يبحث عن السيارة المطلوبة صاحبة الحظ التعيس . وبعد نصف ساعة من الانتظار جاءت السيارة وتوقفت للبحث عن ركاب ، فأسرع نحوها طالباً من سائقها ان ينقله الى حيفا . فوافق السائق ونزل من سيارته قائلاً لمروان : انتظرني دقائق حتى استريح قليلاً وأشرب قهوة . . تفضل معي ، ان اردت .

ـ « مروان » : شكراً . سأنتظرك في السيارة .

واتجه السائق نحو المقهى الصغير الكائن هناك وهو يقول : « كما تريد » .

صعد مروان الى السيارة وجلس في المقعد المجاور للسائق . وتلفت يمنة ويسرة فلم يجد احداً بالقرب منه فيما السائق اختفى في المقهى ، فتناول هو المسدس ووضعه في جيب السيارة امامه ، ثم جلس ينتظر عودة السائق .

بعد دقائق رجع السائق الى سيارته وانطلق بها الى حيفا . وهو كان في الأربعينات من العمر ، متديناً وهادىء الطبع ودمث الأخلاق . وراح يحدث هذا الراكب الوحيد الذي دفع اجرة السيارة كاملة ، عن الحياة والدين والأخلاق وكأنه احس بأن من يجلس الى جانبه يفتقد كل هذه الصفات . وعندما شارفت السيارة على الوصول ، طلب مروان من السائق محارم ورقية فمد السائق يده الى جيب السيارة فاصطدمت بالمسدس ، لكنه لم يتعرف على هذا الجسم الغريب الصلب . فأخرجه بيده في تلك اللحظة وبحركة تمثيلية رفع مروان يديه مستسلماً . لكن السائق بدا مندهشاً وصامتاً من هول المفاجأة وهو ينظر الى المسدس وقد توقفت الكلمات في حنجرته . غير ان مروان اراد توريط الرجل قائلاً : ماذا تريد مني ؟ إنني راكب مسكين ، ذاهب الى عملي !

قال السائق : ما هذه المصيبة ؟! لا حول ولا قوة إلا بالله . لا تقلق يا اخي فلا علم لي بما حصل . ثم راح يشتم في حالة هستيرية ، لكنه ما لبث ان استغفر الله . عندئذ تدخل مروان قائلاً حسب الخطة المرسومة : ولا يهمك يا رجل ، كن مطمئناً من ناحيتي .

ـ السائق : وماذا سأعمل بهذه المصيبة ؟

ـ مروان : اعطني المسدس وانا سأسلمه الى مركز الشرطة في جنين وينتهي كل شيء .

ـ السائق : والتحقيق ؟ والسجن ؟

ـ مروان : لا تهتم . لن يحدث الا الخير وانا اتكفل بالأمر .

وعاد به السائق في سيارته الى جنين حيث نزل مروان امام مركز المخابرات الاسرائيلية ، بعد ان قال للسائق اذهب انت ، مع السلامة !

المسدس والصراف

دخل مروان الى مكتب الضابط جان ووضع المسدس على الطاولة .

ـ جان : ماذا حصل ؟

ـ مروان : كل شيء على ما يرام . إنني تلميذك يا معلم .

ـ جان : دعني من هذا الكلام الفارغ وحدثني بالتفصيل عما جرى .

اخبره مروان بتفاصيل الرحلة حتى وصوله الى المركز . وسرّ جان من هذه النتيجة وقال : حسناً فعلت ، والأمور تسير فعلاً على ما يرام .

وتساءل مروان : هل اذهب انا ؟ اعتقد ان المهمة انتهت .

وضحك جان وقال : لم تنته يا غبي . فأحياناً يكون تفكيرك مثل تفكير الأبله . انت غريب فعلاً .

ـ مروان : « راحيل » هي السبب ، فعندما تبتعد عني افقد قدرتي على التفكير .

ـ جان (ضاحكاً) : لا يوجد في فمك الا النساء !

ثم اضاف الضابط : اسمعني جيداً . الآن سأطلب السائق ليكون عندي في الصباح وسأوجه اليه تهمة خطيرة وتكون انت في الزنزانة المقابلة . ثم سآمر باعتقال السائق سليم واضعه بجوارك في الزنزانة لإيهامه بأن القضية خطيرة جداً . ثم ستتصرف معه حسب خبرتك الطويلة لإقناعه بالعمل معنا .

وفي صباح اليوم التالي وما ان ادخل سليم الى الزنزانة حتى استقبله مروان صارخاً في وجهه وهو يقول : لقد ورطتني بهذه القضية وانا ليس لي علم بها فما ذنبي حتى اسجن هنا بينما المسدس لك ؟ ففوجىء السائق بهذه اللهجة وقال : كيف ؟ ماذا تقصد ؟ فرد مروان وهو يفتعل الغضب : هل تعرف ما هو هذا المسدس ؟ لقد تورطنا في قضية خطيرة جداً عقوبتها الأشغال الشاقة المؤبدة .

ازدادت دهشة سليم وقال : لم افهم شيئاً .

ـ مروان : تريد ان تفهم ؟ ان هذا المسدس مقتول به صراف الذهب في المدينة ، والآن التهمة لبستنا ، فلماذا تورطني في هذه القضية حرام عليك .

ولدى سماع هذا الكلام ، ارتجف سليم وقال : انا لا دخل لي بالأمر .

فالمسدس حسب زعم مروان قتل به صراف الذهب في

المدينة ، وفي هذه الحالة ستكون العقوبة حتماً الأشغال الشاقة المؤبدة اذا ثبتت التهمة . والمسدس يعتبر دليلاً مادياً قوياً ، وقد اراد مروان تثبيت التهمة على الرجل قائلاً : كل المصيبة منك . فرد السائق على هذا الاتهام : اقسم بالله ان لا علم لي بالأمر .

وكان السائق قد اصبح في حالة نفسية يرثى لها ، نتيجة للحرب النفسية التي مارسها عليه مروان ، من التخويف والتهويل ، مع العلم ان الاتهام كاذب من اساسه وليس صحيحاً ما قاله مروان حول المسدس ، لكن الذي يقف خلف القضبان في زنزانة عليه ان يصدق كل شيء .

في هذه الأثناء جاء المراسل وطلب السائق مرافقته الى غرفة التحقيق .

ـ جان : هل انت القاتل ؟
ـ السائق : والله لا اعرف شيئاً .

ـ جان : هذا هو المسدس ذاته والطلقات ذاتها التي قتل بها صراف الذهب .

ثم اضاف متوعداً : سوف تحكم بالسجن المؤبد انت وزميلك هذا شريكك في الجريمة وستقضيان معاً فترة ممتعة في السجن .

دافع السائق عن نفسه قائلاً : والله لا اعلم عن هذا المسدس شيئاً . فقد وجدته في جيب السيارة ، ولا اعرف من وضعه هناك . وانت تعرف انني اعمل على خط جنين ـ حيفا يومياً يصعد الى سيارتي عشرات الركاب . وبالتأكيد ان المجرم وضع المسدس وهرب .

ـ جان : هذا كلام فارغ لا يقنع احداً وما دام المسدس في سيارتك فهو لك ومعك شريكك مروان . والتهمة ثابتة عليكما ولن ينفعك الانكار . فاعترف افضل لك ولن ترى النور منذ الآن . ستدخل السجن وتقضي فيه بقية حياتك . وستموت في السجن ولن ترى عائلتك إلا من وراء القضبان . كم كسبت من قتل الصراف يا خبيث ؟

ـ السائق : اعوذ بالله من هذا الكلام ! لماذا لا تصدقني ؟!

عندئذ ضغط جان على الجرس وهو يقول : هذا غير مفيد . سأرى اذا كان زميلك قد اعترف بشيء ، إنهم يعذبونه الآن في الداخل وستأخذ نصيبك انت ايضاً . وجاء المراسل فطلب منه احضار مروان . وكانت تمثيلية متقنة تماماً لإيهام السائق بأنه قاتل الصراف .

ودخل مروان الى مكتب جان مبعثر الشعر ومتسخ الثياب حتى يوهم السائق بأنه تعرض للضرب والاهانة .

قال جان موجهاً حديثه الى مروان : ألا تريد ان تعترف ؟
ـ مروان : لا أعلم شيئاً يا سيدي .
ـ جان : خلاص . المحكمة ستحكم عليكما بالسجن مدى الحياة .

قال مروان متظاهراً انه يتوسل : ارجوك يا سيدي ، نحن لا علاقة لنا بالمسدس .

صمت الضابط قليلاً وهو يوهم السائق انه يفكر ثم رفع رأسه وقال : عندي حل اخرجكما به من هذه الورطة ولا يوجد حل آخر .

قال مروان بلهفة : ما هو ؟

ـ جان : ان تشتغلا وتتعاونا معي وينتهي الأمر .

رد السائق عليه قائلاً : اعوذ بالله ! ما هذا الكلام ؟ انخرج من ورطة الى ورطة اكبر ؟

ـ جان : انت حر . ابق بالسجن حتى تموت وتضيع عائلتك من بعدك .

في تلك اللحظة لعب مروان دوره الذي يتقنه على اتم وجه قائلاً :

اوافق يا سيدي ، على ان يبقى امرنا مستوراً ونعود الى اهلنا . وان رفض زميلي فأنا موافق كوني بحاجة الى اهلي .

لكن السائق رفض بشدة هذا العرض وقال : أفضل السجن على هذا العمل .

خرج جان من المكتب ليعطي مروان فرصة للتأثير على السائق الذي بدأت اعصابه تنهار ، فأخذ مروان يقنع سليماً بأن لا حل إلا العمل مع المخابرات الاسرائيلية للخروج من هذه الورطة ، وان عقوبة المسدس ستكون السجن مدى الحياة . واستمر في التأثير عليه من خلال عائلته واطفاله حتى وافق الرجل مكرهاً . وهكذا وقع هذا ضحية الابتزاز والتهديد لينضم الى الشبكة .

وبهذه الطريقة قام العميل مروان باسقاط عدد من السائقين ، وكانت الأجهزة الفلسطينية تتابع هذه الحالات وتعيد اصحابها الى الخط الوطني لتصبح العملية عكسية . وكان

البعض يرفض العمل مع المخابرات الاسرائيلية ، فيتعرض للسجن والمضايقة باستمرار وللمحاربة في لقمة عيشه . ولعل الأسلوب الأخطر الذي كانت تعتمده المخابرات في الاساءة الى هؤلاء المواطنين الأبرياء هو استدعاؤهم بشكل متكرر ويومي الى المركز .

واثناء وجود أي منهم مع مجموعة من المراجعين الذين ينتظرون عادة ، يخرج جان الى الشاب الذي اصر على رفض العمل معه وتمرد عليه فيرحب به امام المراجعين الفلسطينيين ويبالغ في حفاوته بشكل متعمد ليوهم ان هذا الشاب على علاقة مع المخابرات الاسرائيلية مما يفسد سمعته . وفي الوقت ذاته تكون التعليمات قد صدرت الى شبكة العملاء لتبث اخباراً كاذبة حول « عمالة » هذا الشاب . وكان ثمن رفض العمل مع المخابرات غالياً يدفعه الشباب من سمعته ولقمة عيشه والمضايقات العديدة التي يتعرض لها .

صالون « شروق »

في احد شوارع جنين يقع صالون « شروق » الذي يعمل في تجميل الفتيات والعرائس ، وقد استطاعت المخابرات الاسرائيلية النفاذ اليه وقامت بتجنيد صاحبته شروق للعمل لصالحها وكانت مهمة هذا الصالون كما حددته المخابرات ان يكون شركاً لإيقاع الفتيات الفلسطينيات وتوريطهن . وقد قامت المخابرات بتجهيزه من الداخل بمواصفات معينة ليصلح لهذه المهمة فوضعت فيه غرفة داخلية لها باب خلفي يفتح على شارع جانبي .

ومن اجل اكمال هذه الممارسات الخطيرة قام الضابط جان بتعريف صاحبة الصالون على العميل مروان لكي يقوم بممارسات لا اخلاقية بعد تخدير الفتيات وتصويرهن تمهيداً لابتزازهن واستطاعت المخابرات الاسرائيلية من خلال هذا الشرك ايقاع العديد من الفلسطينيات .

ولكن التعليمات التي صدرت عن جان بإيقاع فتاة وطنية كانت تعتبر قدوة على الساحة الوطنية في جنين ، غيرت مجرى الأحداث . فقد كانت سمية في التاسعة عشرة من عمرها ، طالبة في مدرسة الزهراء الثانوية في جنين مفعمة بالروح الوطنية . وكانت تعتبر واحدة من القيادات الشابة على الساحة ، وتنظم المظاهرات ضد الاحتلال وتعقد الاجتماعات لتوعية زميلاتها وتحفز فيهن روح المقاومة . لكن المخابرات الاسرائيلية رغم معرفتها بعض المعلومات حول هذه الفتاة . لم تستطع ايجاد ادلة واضحة ضدها . ومع ان الأجهزة الفلسطينية كانت لديها سيطرة شبه كاملة على الشبكة من خلال اختراقها ، إلا أن جان كان يوكل بعض المهام الحساسة الى مروان ويطلب منه عدم ابلاغ اعضاء الشبكة بما قام به ، وبالتالي تتم عملية التخطيط بسرية وبشكل محدود بين جان ومروان .

وبقي مروان مبتعداً عن الخط الوطني وفشلت كل محاولات الأجهزة الفلسطينية لاستعادته بطريقة غير مباشرة وبعد فشل هذه المحاولات راحت هذه الأجهزة عبر عناصرها في المدينة ، تبث بعض المعلومات حول علاقة مروان بالمخابرات الاسرائيلية حتى يبتعد الناس عنه ، وخصوصاً الشباب المنظم . وطلب جان من مروان ـ زعيم الشبكة ـ ان يجمع معلومات كاملة عن

سمية من كافة النواحي ، لكن الحصيلة كانت بسيطة للغاية .

وكانت المخابرات الاسرائيلية استطاعت اسقاط عدة فتيات من خلال صالون « شروق » . وفي لقاء جمع بين مروان وضابط المخابرات قال الأخير : هل تعرف سمية ؟

ـ مروان : لا اعرفها شخصياً ، لكنها معروفة وسبق ان ابلغتك معلومات عنها كنت قد حصلت عليها عن طريق صديقاتها في المدرسة .

ـ جان : سوف توقعها .

ـ مروان : كيف ؟ مستحيل . هذه فتاة عنيدة وصعبة للغاية .

ـ جان : في الصالون سيتم كل شيء .

ـ مروان : لكنها لا تذهب الى الصالونات .

ـ جان : اعرف ذلك جيداً . لكنها يجب ان تذهب الى صالون « شروق » بالتحديد .

ـ مروان : كيف ؟ ما العمل ؟

ـ جان : عليك ان تخبر سعاد بأن تذهب بها الى الصالون بمناسبة خطبة او حفلة ما .

ـ مروان : انها من الطراز العنيد ، ومن المحتمل ألا تقبل اضافة الى انها جميلة من دون تجميل .

ـ جان : عليك ان تبذل جهدك عن طريق صديقتها سعاد .

ولدى موافقتها عليك ان تتبع ابشع الوسائل معها . فهذه من اخطر القضايا التي قمنا بها ، ويجب الا يعرف احد شيئاً عن

الموضوع سوى انا وانت وسعاد وصاحبة الصالون .

ـ مروان : وبقية اعضاء الشبكة ؟

ـ جان : لا تبلغ احداً بالأمر . هل تعلم انه اذا فشل هذا الموضوع فستكون كارثة علينا جميعاً . فهذه الفتاة ان افلتت من ايدينا ستثير قلاقل كبيرة .

ـ مروان : فهمت . فهمت .

وبعد ان اتفقا على الخطة بكل تفاصيلها ، توجه مروان الى سعاد التي تورطت في السابق مع المخابرات عن طريق صالون « شروق » ليبلغها تعليمات الضابط .

قال مروان : انت تعرفين سمية جيداً . أليس كذلك ؟

ـ سعاد : نعم . انها صديقتي .

ـ مروان : لكنها لا تعرف شيئاً عن علاقتك بالمخابرات الاسرائيلية . أليس كذلك ؟

ـ سعاد : نعم . لكن ماذا تقصد ؟

ـ مروان : لماذا لا تكون مثلك وتعمل معنا وتريحنا من كتابة التقارير عنها ؟

ضحكت سعاد وقالت : فهمت قصدك . تريد ان نأخذها الى الصالون .

ـ مروان : بالضبط . هذه مهمتك . وعليك اقناعها بكل الوسائل والطرق . وامامنا الآن على ما اعتقد فرصة لا تعوض لاستدراجها الى الصالون .

ـ سعاد : ما هي الفرصة التي تتحدث عنها ؟

ـ مروان : هل نسيت ان خطبة صديقتك ليلى ستتم بعد اربعة ايام ؟

ـ سعاد : فعلاً . عندك حق . فهي فرصة لا تعوض . وسوف ابذل جهدي لإقناعها بالذهاب الى الصالون في هذه المناسبة .

ـ مروان : ارجوك . حاولي المستحيل . وجان يلح كثيراً على هذه المسألة ، كما ان تعليماته تقضي بأن يكون الموضوع سرياً للغاية ويجب ان لا يعرف احد شيئاً عنه وحتى اعضاء الشبكة . إنه خطير للغاية .

ـ سعاد : فهمت . كما تريد ، لن يعلم احد بالأمر .

في الحفلة

بعد ان تم اعداد الخطة كاملة وجرت مناقشة تفاصيلها بين مروان وسعاد دخلت هذه الخطة طور التنفيذ ، فذهبت سعاد الى سمية وراحت تحدثها عن صديقتها ليلى وعن خطبتها وضرورة احياء حفل لها من اروع الحفلات .

فوافقت سمية على ذلك قائلة : ان ليلى صديقتنا وسنحيي لها الحفلة . إنها اخت كريمة وتستحق كل خير .

عندئذ دخلت سعاد الى المرحلة الثانية لاستدراج الفتاة ، قائلة : وبهذه المناسبة السعيدة ، سوف نذهب الى الصالون للتجميل ، لأنه من غير اللائق ان نذهب الى الحفلة من غير تجميل .

رفضت سمية هذا الاقتراح قائلة : دعينا من هذه القضـايا الفارغة التي لا أؤمن بها .

راحت سعـاد تتوسـل قائلة : يـا صـديقتي ، إنها منـاسبـة سعيدة ، ويجب ان نظهر في أحسن صورة امام المدعوات .

ـ سمية : انها ليست خطوبتنا حتى نبدو بهذا المظهر .

ـ سعاد : أليست خطبة اعز صديقة لنا ؟

ـ سمية : نعم . لكنني بصراحة لست معتادة على الذهاب الى الصالونات ، وإذا اردت انت ذلك فأذهبي وحدك .

ـ سعاد : لن اذهب من دونك وستحرمينني من الذهاب الى الصالون ان لم تأتي معي .

ـ سمية : لماذا تريدين احراجي ؟

وواصلت سعاد الحاحها قائلة : إنها مناسبة سعيدة ويجب ان نذهب .

ـ سمية : لا تغضبي يا عزيزتي . لا تتضايقي فسأرافقك الى الصالون ، لكنني لن أتجمل لأنني في هذه الحالة سأكون موضع انتقاد امام اهلي ، وانت تعرفين ان عائلتي محافظة .

ـ سمية : بالمناسبة ، الى أي صالون سنذهب ؟!

ترددت سعاد قليلاً ثم قالت : الى صالون « شروق » .

ـ سمية : لماذا هذا الصالون بالذات ؟

بدأ الارتباك على وجه سعاد وقالت متداركة : إنـه صالـون جيد واسعاره أحسن من الصالونات الأخرى ، وانا معتادة ان اذهب اليه وهو يناسب امكاناتي المادية البسيطة ، فـأنا تلميـذة مثلك .

وكان إحساس سمية صادقاً عندما قالت : من الآن أقول لك انني غير مرتاحة .

ـ سعاد (بخبث) : كوني مطمئنة وسترتاحين .

واستجابت سمية لرغبة صديقتها ولم تكن تعلم انها تعمل مع المخابرات الاسرائيلية ، على الرغم من ان سعاد كانت قد انضمت الى الشبكة منذ فترة قصيرة وكانت علاقتها مقتصرة على مروان ولا يعرفها بقية أعضاء الشبكة .

واقترب موعد الحفلة فذهبت سمية مع سعاد الى صالون « شروق » حيث رحبت بها صاحبة الصالون واستقبلتها بحفاوة . وبعد دقائق كانت شروق قد اعدت القهوة الملغومة واتت بها لتقدمها الى سمية ، وغمزت سعاد بعينها ففهمت الأخيرة ان حبة وضعت في فنجان سمية . وتظاهرت سعاد بالجلوس على كرسي التجميل ، وبدأت صاحبة الصالون تتظاهر بدورها بتصفيف شعر سعاد على مرأى من الفتاة التي اخذت تقاوم النعاس المفاجىء .

وبعد ان شربت سمية فنجان القهوة استغرقت في نوم عميق . وكان مروان في تلك اللحظة في الغرفة الداخلية للصالون ، في انتظار إدخال الضحية . وما ان تأكدت صاحبة الصالون من نوم الفتاة ، حتى قفزت سعاد من كرسي التجميل وتعاونت مع شروق على سحب سمية الى الغرفة ثم اغلق الباب وكان مروان ينتظر في الداخل .

بعد انتهاء هذه العملية البشعة حمل مروان الكاميرا الى ضابط المخابرات جان وابلغه بما حصل ، فكانت سعادته كبيرة

لهذا النجاح واعتقد ان سمية اصبحت بين يديه . فقال : احسنت يا مروان . انت في غاية الذكاء . ومنذ اليوم الأول الذي رأيتك فيه في مكتبي توقعت لك مستقبلاً باهراً معنا . وبدا مروان منشرحاً لهذا الاطراء فقال : اشكرك انا تلميذك .

- جان : الخطة لم تنته بعد . فعليك ان تتفق مع سعاد على افتعال مظاهرة غداً في مدرسة الزهراء الثانوية حتى نستطيع استدعاء مجموعة من الفتيات ومن ضمنهن سمية للتحقيق معها . وعليك ان تكون عندي في المكتب .

- مروان : ولا يهمك .

في مكتب جان

بعد انتهاء مفعول الحبة افاقت سمية من غيبوبتها ، وقامت صاحبة الصالون بالباسها ثيابها وتمشيط شعرها ثم نقلتها الى مقعدها الذي كانت تجلس عليه لدى دخولها الصالون وكأن شيئاً لم يحدث . ففتحت الفتاة عينيها لتجد سعاد جالسة على كرسي التجميل بينما تقوم شروق بتصفيف شعرها .

قالت سمية وهي تتثاءب ، الم تنتهي بعد يا سعاد ؟

- انتظري ١٠ دقائق . يبدو لي انك سئمت الانتظار واستغرقت في نوم عميق .

- سمية : فعلاً ، لقد سهرت الليلة الماضية وواضح انني في حاجة الى النوم .

وبعد دقائق انهت سعاد تصفيف شعرها وخرجت برفقة سمية من الصالون . ولم تكن الأخيرة لتعرف ماذا حصل اثناء

نومها . وراحت تتحدث ببراءة عن حفلة الخطبة .

وبعد مرور يومين على هذه الحادثة ، وتنفيذاً لتعليمات جان ، قامت سعاد بافتعال مظاهرة في المدرسة ، حيث قامت المخابرات الاسرائيلية ـ حسب الخطة ـ باستدعاء عدد من الفتيات للتحقيق معهن وبينهن سمية .

رحب جان بالفتاة قائلاً وهو يبتسم ابتسامة ظاناً ان ما يفصله عن تجنيدها دقائق فقط : اهلاً بالجميلة سمية .

ـ سمية : ماذا تريد مني ؟

ـ جان : ان اعرف سبب المظاهرة التي قامت في المدرسة واعمال الشغب والفوضى .

ـ سمية : أنا لا دخل لي في كل ما حدث وتستطيع الاستفسار من اللواتي قمن بهذه الأعمال .

ـ جان : جاءت اخبار عنك . ومعلوماتي صحيحة .

ـ سمية : هذا الكلام لا أساس له من الصحة .

ـ جان : اذن لماذا يكرهك الناس ويخبرونني مثل هذه الأمور عنك ؟

ـ سمية : انا لا يكرهني سوى العملاء والمدسوسين الذين لا ينامون ولا يدعون احدا ينام .

ـ جان : لقد جاءت عدة تقارير تفيد انك على رأس كل المظاهرات .

ـ سمية : احضر لي الشهود والأدلة .

ـ جان : بعد قليل سأحضرها .

ـ سمية : كلام بلا معنى .
ـ جان : هل تحبين يا شاطرة ؟
ـ سمية : لا احب سوى عائلتي .
ـ جان : والناس ؟
ـ سمية : من هم الناس ؟
ـ جان : الذين حولك .
ـ سمية : انا احب كل الناس الطيبين .
ـ جان : ألا تحبين شباباً ؟
ـ سمية : لا احب احداً .
ـ جان : لماذا ؟
ـ سمية : لأنني لا اهتم إلا بدراستي .
ـ جان : وهل تحبين المظاهرات ؟
ـ سمية : قلت لك انني لا اهتم بهذه الأعمال .
ـ جان : والثورة الفلسطينية ؟
ـ سمية : لا علاقة لي بهذه الأمور .
ـ جان : والناس الذين قالوا عنك ؟
ـ سمية : كذابون ودجالون . احضرهم حتى يواجهوني .

وبكل هدوء مد جان يده الى درج المكتب واخرج مجموعة الصور التي التقطت لها وهي نائمة في صالون « شروق » وقال : انظري الى هذه الصور . إنها جميلة أليس كذلك ؟

حدقت سمية الى الصور وسرعان ما راحت ترتجف وتصرخ وتشتم حتى اغمي عليها . رآها جان بهذا الوضع فخرج من مكتبه الى حيث كان العميل مروان في المكتب المجاور فناداه وامره ان يذهب الى سمية ويوقظها ■

جريمة في الغرفة رقم ٢٥

تناول مروان كوباً من الماء البارد وسكبه على وجه سمية وبعد لحظات افاقت من غيبوبتها وفتحت عينيها لترى الشخص الذي لم تكن تعرفه على الاطلاق وشاهدته في الصور في اوضاع مخجلة امامها .

قال مروان : ما الذي حدث يا سمية ؟ انهضي ، فهذا قدرنا وعلينا ان نتقبله وانا لا ذنب لي ، فقد اجبرت على ذلك ، وصورتي هذه كانت خدعة . وكما تجهلين ما حدث ، فكذلك انا اجهله . ولكن اياك والفضيحة ، فهذا مستقبلنا ولن ترحمنا المخابرات في ما لو تمردنا . ارجوك ان تنفذي ما يطلب منك .

وما ان انهى مروان كلامه حتى وقفت سمية على قدميها وخلعت الحذاء وراحت تضربه به على وجهه ورأسه ، وتشتمه وتشتم المخابرات الاسرائيلية . وكان هو بدوره يصيح وينادي جان ، فهرع اليه الأخير من المكتب المجاور فيما هي ما زالت تضربه . وتصرخ : ستعرف من هي سمية ايها الحقير . أيها الجبان ، سيأتيك يوم .

إلا ان جان تناول الحذاء من يدها وسحبها بعيداً عن مروان

صارخاً : ما هذه الوقاحة ؟ كيف تضربين حبيبك ؟

ـ سمية : انتم الوقحون ايها الجبناء . ولسوف افضحكم . وستعرفون ماذا ستفعل سمية .

ـ جان (محاولاً تهدئتها) : وهل تعتقدين انك وحدك وقعت في المصيدة ؟ انهن كثيرات . انظري الى هذه المجموعات من الصور ومعظمهن من معارفك .

ـ سمية : وما ذنبي انا ؟ فلا دخل لي في الموضوع . انه شرفي وكرامتي وكرامة اهلي .

ـ جان : لا تخافي سيكون شرفك محفوظاً عندنا ، وهذه الصور سأحرقها في حال موافقتك على ما اطلبه منك .

ـ سمية : وماذا تريد مني ان افعل ؟

ـ جان : المسألة بسيطة للغاية . ان تتعاوني مع مروان وتخبرينا عن المتظاهرات .

انتفضت سمية وراحت تصرخ : انا ؟ انا ؟

ـ جان : نعم . انت . وإلا افتضح امرك امام الأهل والناس . وسأنشر الصور في الصحف اذا رفضت العمل .

ـ سمية : افعل ما تشاء . فأنا لا اخافك .

ـ جان : ألا تخافين الأهل ؟ وشرف العائلة ؟ انظري . انظري جيداً الى هذه الصور الفاضحة . ماذا لو نشرتها في الصحف والمجلات ؟

وكانت الصور مرمية على الأرض وفوق الطاولة . فالتفتت

سمية اليها ، وما ان وقع نظرها عليها حتى هاجمت مروان مجدداً وراحت تضربه على رأسه وتبصق في وجهه وتصيح قائلة : أيها الحيوان . يا عديم الشرف والأخلاق . فاتجه جان اليها واجبرها على الجلوس قائلاً : اجلسي ، فهو ضحية مثلك ، ولكنه وافق على مساعدتنا لأن لا حول له ولا قوة ، فهذا الأمر ليس بيده .

ـ سمية : انا لن اوافق وارفض العمل معكم . وافعلوا ما تشاؤون .

يئس جان من موقفها فأراد ان يضعها امام الأمر الواقع من خلال الاساءة الى سمعتها باستدعائها يومياً الى مركز المخابرات . فقال لها : اذهبي وفكري ، ثم عودي غداً واخبريني عن قرارك .

خرجت سمية من المكتب وهي لا تكاد ترى شيئاً امامها ، وبدت خائرة غائبة عن الوجود . ووصلت الى البيت وهي تائهة تفكر في ما ستفعل . ودخلت الى غرفتها واغلقت الباب وراءها ، ثم اجهشت بالبكاء . وراحت تتذكر الصور والضابط والعميل فتسود الدنيا في وجهها . وباتت لا ترى اي امل للخروج من هذا المأزق فتناولت حقيبتها المدرسية وامسكت ورقة وقلماً وراحت تسجل ما حصل معها بالتفصيل . وفي النهاية كتبت : « وداعاً أيها الشعب . . وداعاً أيها الأهل . . وداعاً أيها الأحبة » . ووضعت الورقة في حقيبتها ثم تناولت جرعة من مادة كيماوية سامة وفارقت الحياة . وفي وقت لاحق اكتشف اهلها انتحارها وقرأوا ما كتبته وعرف معارفها تفاصيل القصة .

احراق الصالون

على اثر هذه الحادثة المأساوية مباشرة ، صدرت تعليمات من الأجهزة الفلسطينية بتفكيك الشبكة والرد بمنتهى العنف على هذه الجرائم . فقامت الوحدات العاملة في منطقة جنين بالهجوم على الصالون وتم احراقه كاملاً ، بينما قامت صاحبة الصالون فوراً بالهرب الى احدى الدول المجاورة عام ١٩٨٣ . وعمت جنين تظاهرات يومية احتجاجاً على الجريمة . وقامت الوحدات العاملة ايضاً بمهاجمة مركز المخابرات الاسرائيلية بالقنابل الحارقة فقتل احد الجنود الاسرائيليين المكلفين بالحراسة وجرح ثلاثة آخرون .

في تلك الفترة اختفى مروان واحمد ولم يعثر عليهما احد . وكان ثمن المواجهات السابق ذكرها استشهاد منتهى عوض على ايدي جنود الاحتلال ، لكن احداً لم يعرف آنذاك ان مروان واحمد ارتديا بزة عسكرية وحملا رشاشين من نوع « عوزي » وراحا يطلقان النار على المتظاهرين من داخل سيارات حرس الحدود . وأصيب برصاصهما ثلاثة شبان فلسطينيين . واستمر مروان في التعامل مع الضابط لكنه بات معروفاً تماماً في جنين . غير ان المخابرات الاسرائيلية اعتبرت ان دوره لم ينته فأرادت ان تنقله الى موقع آخر هو مستشفى « رمبام » في مدينة حيفا . ويعتبر من أضخم المستشفيات في اسرائيل ، وفيه تجمع عربي كبير من العاملين الشبان والفتيات من سكان المناطق المحتلة منذ ١٩٤٨ .

وكان جان قد كلف مروان بالذهاب الى « رمبام » لاختراق هذا التجمع ، خاصة ان العاملين في هذا المستشفى من

الشبان . وقام الضابط ايضاً بتحديد وسيلة الاتصال بمروان ، ففي هـذا المستشفى قسم للمخابـرات الاسـرائيليـة . وذهـب العميـل الى المستشفى في حيفا وتعـرف على رجـل المخابـرات (الـذي كان يعمـل تحت غطاء رئيس العمـال) واخبـره انـه مبعوث من قبل جـان وعليه تسهيـل مهمته . فـأخرج ضـابط المخابرات دافيد ملفاً كبيراً من درج مكتبه وقـال لمروان : كن نشيـطاً واعمـل بـاجتهـاد وسـريـة . وراح الضـابط يتفحص الملف . ثم توقف قائلاً : نبدأ بهـذه : وفاء ، ستكـون المهمة الأولى ، وسأعينك رئيساً عليها والباقي متروك لك .

وكانت وفاء لم تتجاوز التاسعة عشرة ، جميلة انقـطعت عن التعليم في سن مبكرة بسبب ظروف عائلتها ووجدت عملاً في المستشفى لمساعدة أهلها . وقد بدأت عملها قبل سنتين تارة في قسم التنظيفات وتارة اخرى في المطبخ . وكانت تعود يومياً الى بيتها في قرية مجد الكـروم . وبقيت محط انظار الجميـع والكل يتمنى ان يشتغل معها بسبب ادبها واخلاقها وجمالها . وقد بدأ مـروان يتقرب اليهـا ويخفف عنها اعبـاء العمل ، كـما اصبـح يسمح لها ان تذهب في اوقات الاسـتراحة وبشكـل مكثف الى حيث تشاء ، حتى باتت تثق به . واعتقدت ان حظها سعيد ، وان مروان طيب القلب ودمث الأخلاق . وذات مرة قال لها : انت نشيطة وسأطلب بزيادة اجرك .

وكـانت الفتاة التي اوقعهـا حظهـا السيء بين يـدي هـذا العميـل تتحدث معـه بحكم العمل ، وتعـد له القهـوة اثنـاء الاستـراحة . ومـع الأيام تـوطدت بينهـما علاقـة لم تصـل الى الجانب العاطفي بل بقيت محدودة . وانتقـل مروان الى المـدير

دافيد واخبره بما جرى وان العلاقة قد توطدت وبإمكانه تنفيذ ما يريد . فقال دافيد : حسناً ، سأعطي وفاء استراحة ساعتين يوم الأحد ، وعليك ان تذهب بها الى احدى الغرف الجيدة ، وباستطاعتك ان تأخذها الى الغرفة رقم ٢٥ وهناك تطلب منها ان تعد القهوة ، وعلى حين غرة تضع حبة المنوم في فنجانها وتغرر بها . وسأرسل لك احد الشبان الى الغرفة ليقوم بعملية التصوير .

وافق مروان على هذه الخطة . وهو اسلوب استخدمه كثيراً مع ضحاياه . وفي اليوم المحدد لتنفيذ الجريمة ذهب الى وفاء قائلاً : اليوم لديك استراحة ساعتين لأنه لا اعمال كثيرة عندنا ، فاذهبي واعدي لنا فنجانين من القهوة واحضريها الى الغرفة رقم ٢٥ .

قالت وفاء ببراءة : حاضر . وسأجهز القهوة خلال دقائق واتيك بها .

- مروان : ها انا ذاهب الى هناك .

واسرع العميل وابلغ رئيسه بما حصل لكي يكون المصور جاهزاً عند الطلب . وبعد ان انتهت الفتاة من اعداد القهوة انتقلت الى الغرفة ٢٥ لتجد مروان في انتظارها وهو يقرأ الجريدة .

- وفاء : تفضل هذه هي القهوة .
- مروان : اجلسي لنشربها معاً .

وجلست الفتاة . لكن مروان تظاهر بأنه تذكر شيئاً فقال : لو سمحت يا وفاء اذهبي الى الهاتف في الغرفة المجاورة واطلبي

دافيد وقولي له ان مروان في الغرفة ٢٥ ولعلك قد تحتاج اليه .

قامت الفتاة الى الهاتف ، وما ان استدارت حتى وضع حبة المنوم في فنجانها ثم تناول فنجانه وراح يشربه . وما ان عادت وفاء الى مكانها حتى قال لها : تفضلي اشربي قهوتك ، فقد بردت . فتناولت فنجانها وشربته ، وبعد لحظات استغرقت في نوم عميق . ولما تأكد من نومها غرر بها وسارع الى الاتصال بدافيد لكي يرسل له المصور وبعد لحظات كان المصور يطرق الباب ، فقام العميل ونظر من فتحة الباب ولما تأكد من شخصية الطارق فتح له وعاد يكمل جريمته فيما الشاب يصور المنظر تلو الآخر . وبعدها اخذ مروان الكاميرا وبدأ يصور الشاب الذي بدوره غرر بوفاء . وبعد خمس دقائق بدأت وفاء تستيقظ ، ففتحت عينيها لتجد نفسها وحيدة وما ان شاهدها مروان وقد استيقظت ، حتى دخل الى الغرفة قائلاً : يبدو لي انك كنت نائمة ؟

ـ وفاء : لقد سهوت قليلاً .

ـ مروان : اذهبي الآن وانضمي الى زملائك في الاستراحة .

وخرجت وفاء من الغرفة المشؤومة وعاد مروان الى الضابط .

وفي صباح اليوم التالي قام دافيد باستدعاء الفتاة الى مكتبه بصفة رئيسها في العمل .

قال دافيد : اهلا وفاء . كيف حالك ؟

ردت الفتاة : الحمد لله .

ـ دافيد : كيف العمل ؟ هل انت مرتاحة ؟

ـ وفاء : العمل عادي والأجرة لا بأس بها .

ـ دافيد : اذن ما رأيك ان تساعديني في بعض الأعمال البسيطة ؟

ـ وفاء : وما هي هذه الأعمال ؟

ـ دافيد : خدمات بسيطة جداً .

ـ وفاء : ما هي ؟

ـ دافيد : ان تكوني منتبهة الى الشباب في المستشفى وتحاولي معرفة أي محاولة للتخريب قد يقومون بها . فربما هناك نوايا سيئة لدى بعضهم ، وانت تعرفين من هم الذين ينوون التخريب في بلدكم مجد الكروم ، وستكونين مرتبطة من الآن فصاعداً مع المخابرات الاسرائيلية ، وسيزيد اجرك في المستشفى ، كما سأدفع لك راتباً اضافياً .

فوجئت وفاء وهي تسمع كلام المدير الاسرائيلي ، الذي طلب منها ان تتعاون مع المخابرات فقالت : أنا لا أقوم بمثل هذه الأعمال ، فقد جئت الى هنا لكي اشتغل واعيل اسرتي ، وهذه الأمور التي تطلبها ليست من صلاحياتي .

عندئذ لجأ دافيد الى الابتزاز والتهديد قائلاً : أتريدين الفضيحة لنفسك ولعائلتك ؟

ـ وفاء : أي فضيحة ؟ وماذا عملت حتى تفضحني ؟ هل سرقت شيئاً ؟

ـ دافيد : لو سرقت لكانت المسألة بسيطة .

ـ وفاء : اذن ماذا فعلت ؟ انا لا اذكر انني فعلت شيئاً مخالفاً للقانون .

ولم يدعها الضابط تسترسل في استفساراتها ، فتناول مجموعة من الصور وقدمها اليها قائلاً : ألا تذكرين هذه الصور ؟

فنظرت الفتاة الى هذه الصور التي تظهرها في اوضاع مخجلة للغاية مع مروان والشاب الآخر . وصعقت من هول المفاجأة واخذت تصرخ وتبكي : ما هذا ؟ كيف ؟ متى ؟ من فعل ذلك ؟ هذا الحقير كيف فعل ذلك ؟

وواصلت الفتاة البكاء والصراخ وراحت تتوسل الضابط كي يمزق الصور ، فقال لها : امزقها بشرط واحد هو ان توافقي على العمل مع المخابرات الاسرائيلية .

قامت وفاء من مكانها وقالت : الفضيحة التي تتحدث عنها هي في العمل معكم . ولن اتعاون معك ولن اعمل في هذا المستشفى . واذا حاولت اعتراض سبيلي ، فسأفضحك بين جميع العمال الفلسطينيين في المستشفى . وفي هذه الحالة ستقتل وسيحرق المستشفى .

وخرجت وفااء من مكتب دافيد في حين بقي هو مذهولاً من رفضها وعادت الى قريتها وصارحت اهلها بما جرى . وعرف اهل البلدة ، فتقدم احد الشبان فتزوجها حفاظاً على سمعتها التي حاول العميل مروان تدنيسها .

وبعد فترة انتهت مهمة مروان في المستشفى ، وعاد الى الضابط جان ليضع له خطة ارتكاب جريمة جماعية بحق

الشعب الفلسطيني . فقد قال جان : أتدري ما سبب اجتماعنا اليوم يا مروان ؟

ـ مروان : لا ادري .

ـ جان : انظر الى هذه الأكياس .

ـ مروان : ما هذه ؟

ـ جان : انها مادة سامة .

ـ مروان : وماذا ستفعل بها ؟

ـ جان : اسمعني جيداً . هذا الموضوع في غاية السرية . وقد صدرت تعليمات من كبار المسؤولين في المخابرات ، وستنفذ هذه التعليمات بدقة وبسرية تامة . انها مسؤولية كبيرة ، فلو تسرب شيء حول الموضوع ستكون نهايتك . هل تفهم ؟

ابدى مروان اهتمامه واصغى مستمعاً .

ـ جان : سنقوم بهذه المهمة معاً وسنستعملها في مدارس البنات في مدينة جنين وقراها .

ـ مروان : لم افهم بعد .

ـ جان حسناً سوف ننشر الرعب في صفوف المواطنين ، وسيكون هناك طاقم خاص مهمته تعميم دعايات مفادها ان منظمة التحرير الفلسطينية تقوم بهذا العمل لخلق الفوضى والاضطراب في المدارس واستغلالها في اغراض سياسية . وهذه المادة سامة وآثارها الأولية الاغماء والغثيان . اما آثرها البعيدة فتنعكس على الانجاب .

ـ مروان : فهمت . ومع من سأقوم بهذه المهمة ؟

ـ جان (بصوت خافت كأنه يحدث نفسه) : هذه المهمة خطيرة للغاية . ولا اريد ان يساعدك فيها سواي . فمهمتي ان اوصلك الى الهدف المطلوب ، وبعد الانتهاء من عملك أعيدك بالسيارة .

ـ مروان : وأين سأضع هذه المادة ؟

ـ جان : في خزانات المياه ، وعلى ستائر الشبابيك وفي ساحات المدارس حيث تتطاير بسرعة وتعلق بالأشجار المحيطة فيصاب من يتعرض لها بالاغماء والغثيان .

ـ مروان (بعد لحظات) : وكيف سأنفذ المهمة دون ان اتضرر منها ؟ أتريد ان تقتلني ؟ هذه عملية انتحارية .

ـ جان : يا غبي ، سأحضر لك كمامات وقفازات تساعدك على القيام بهذه المهمة . هل تعتقد انني سأعرضك لمخاطر هذه المادة الكيماوية السامة ؟

ـ مروان : اذن ، اتفقنا ، متى سنقوم بالتنفيذ ؟

ـ جان : في هذه الليلة بعد منتصف الليل . فابق عندي حتى نذهب معاً .

في تلك الليلة وحسب الموعد المحدد وهو منتصف الليل ، استقل مروان سيارة جان التي خرجت متسللة من مركز المخابرات في جنين ، وسارت في شوارع المدينة حتى وصلت الى مكان قريب من مدرسة « عرابة الثانوية » فتوقفت ونزل مروان وهو محاط بالوسائل الواقية من التسمم . وتناول جان اربعة

أكياس من المواد الكيماوية السامة واعطاها الى مروان قائلاً : هيا بسرعة ، لا يوجد احد في المدرسة . اصعد الى السطح وافرغ محتويات كيس في خزان المياه ثم ادخل الى الغرف ورش المادة على الشبابيك والستائر . وبعد ذلك ادخل الى ساحة المدرسة ورش ما يتبقى معك على الأشجار والجدران . وانا انتظرك هنا في السيارة اراقب المكان . فإذا حضر احد صدفة اضغط على منبه السيارة فتأتي بسرعة .

وتسلل العميل الى المدرسة بعد ان قفز عن السور وبعد حوالى عشرين دقيقة كان قد اتم جريمته بكل هدوء . وعاد مع الضابط الى مركز المخابرات حيث نام ليلته هناك .

وفي الصباح التالي دخلت الفتيات الى المدرسة لكن الوضع لم يكن عادياً . فسرعان ما ظهرت بين الطالبات حالات من الاغماء والغثيان ، وبدأت هذه الحالات تتكاثر مما جعل مديرة المدرسة تسارع الى اخلاء الغرف وكانت حادثة غريبة لم يستطع احد ايجاد تفسير لها . وتم نقل ٣٥ طالبة الى المستشفى . ولكن التقرير الطبي جاء غريباً عند ذكر ان هذه الحالات سببها التسمم بمادة كيماوية . ولم يصدر اي تعليق من جانب الاحتلال حول هذه الظاهرة عام ١٩٨٣ ، سوى انها ناتجة عن تلوث في المياه .

بعد الحادثة باسبوع اجتمع جان بمروان وطلب منه هذه المرة تنفيذ برنامج كامل لتسميم المياه في المدارس ومنها مدرسة « الزهراء الثانوية » و« جنين الثانوية » ثم مدارس القرى المحيطة بجنين بالطريقة ذاتها تماماً . وكذلك مدارس « البنات الاعدادية » و« عز الدين » وغيرهما . وقد اثارت العملية الثانية

ضجـة كبرى وحـالـة من الـرعب والانفعـال في صفـوف الفلسطينيين ولم يعد هناك مجال للتأويلات فالجريمة تـوضحت معالمها . وامتلأت المستشفيات بالمصابات حتى ان مستشفيات الضفة الغربيـة لم تستطع استيعـاب هذا الحجم الكبـير . وتم تحويل قسم منها الى مستشفيات الـداخل . وامتـدت حالات التـسمم الى سائر مناطق الضفة الغربية ولكن مروان لم يكن له دور إلا في منطقة جنين ونفذ الجريمة في المناطق الأخرى عملاء آخرون .

كـانت ردة الفعل الفلسـطينية قـوية عـلى هـذه الجـريمـة ، فخرجت التظاهرات والمسيرات في سائر مدن وقرى الضفـة ، واشتبك المتظاهرون مع الجيش الاسـرائيلي ، وسقط عـدد من الشهداء في هذه المواجهات : وحاولت السلطات الاسرائيليـة من خلال اكاذيبها الصاق التهمة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، واتهمت المنـظمـة بـأنها وراء حـالات التسمم بهـدف الشغب والفوضى حسب تعبير الاذاعة الاسرائيلية .

وتحت ضغط المسيـرات اوقفت المخـابـرات الاسـرائيليـة عمليات التسمم في المدارس بعـد مواجهـات ادت الى احراق عدد من سيارات جيش الاحتـلال وجرح مجموعة من الجنـود الاسرائيليين .

مرحلة الشك

وتم تفكيك شبكة التجسس والتخريب التي قام بتشكيلهـا الضـابط جان عبـر العميل مـروان بعد حـادثة انتحـار سمية واحـراق صالـون « شروق » ، ومـات مروان مـطارداً من قبل

الأجهزة الفلسطينية ، وقامت عناصرها بحملة واسعة بين المواطنين تحذرهم من شروره . وكانت معلومات المخابرات الاسرائيلية تؤكد ان عميلها مهدد ، لا سيما بعد تسميم طالبات المدارس حيث حامت الشبهات حوله . لكن هذا الأمر لم يكن خافياً عليه . ففي اللقاءات مع جان طرح الأخير قضية الشكوك التي تدور حول العميل قائلاً : اسمع يا مروان ، لقد بدأ الناس يشكون في تصرفاتك واعمالك .

وصمت جان لحظات ثم اضاف : لقد انتشرت دعاية في المدينة تقول انك عميل للمخابرات الاسرائيلية . ولا بد انك سمعت بها . .

ـ مروان : بت اشعر ان الناس قد بدأوا ينظرون الي بارتياب وعدم ارتياح والناس الذين كانوا يأمنون جانبي في السابق اصبحوا الآن يبتعدون عني ، حقاً ان المجموعة الأخيرة التي دخلت السجن قبل شهور ثم خبرت اهاليها اثناء الزيارة انني وراء اعتقالهم .

ضحك جان وقال : لا تقلق يا عزيزي ، فلدي خطة ستعيد ثقة الناس بك كما كنت سابقاً ، وستعود من جديد ذلك الإنسان الشريف .

هز مروان رأسه علامة الرفض قائلاً بيأس : لا اعتقد . فأهل جنين اصبحوا لا يثقون بي مهما فعلت . المسألة ليست بهذه البساطة . وبصراحة انكشفت ولا ادري كيف عرفوا هذه القضايا عني .

ـ جان : هذه مجرد شكوك .

ـ مروان : لو كانت شكوكاً لما اتخذ الأهالي موقفاً مني بهذا الشكل . فالواضح انهم يعرفون الكثير .

ـ جان : اسمعني جيداً . فأنا اعرفك ذكياً ونشيطاً لم أعهدك يائساً . ثم ان جنين انتهت فعلاً بالنسبة اليك وسأنقلك الى مكان آخر لا يعرفك فيه احد لقد درست خطة بارعة منذ فترة وبقي التنفيذ .

ـ مروان : كيف ؟

ـ جان : توجد مجموعة من الشبان الفلسطينيين يعملون في المستوطنة القريبة من مدينة الناصرة . وهؤلاء الشبان من قرى نابلس وانا درست الموضوع من جميع جوانبه وسهلت لك المهمة مع المسؤولين الاسرائيليين واريد كل شيء عن هؤلاء الشبان .

صمت جان قليلاً ثم قال : ستعمل معهم ، وتستأجر شقة في الناصرة ويجب ألا يعرفوا انك من جنين حتى لا يسألوا عنك ويعرفوا ماضيك . وبعد ان تعمل معهم قربة شهر تظهر لهم حب الوطن ، وتحدثهم باستمرار ان الأرض ارضنا والمستوطنات يجب ان تكون لنا وليس للاسرائيليين . وتقوم على مرأى من اعينهم باتلاف عشر او عشرين شتلة برتقال . وهكذا نعرف نواياهم . وفي هذا الوقت تقوم بإظهار الكرم عن طريق انفاق بعض المال عليهم الى ان تتوطد علاقتك بهم . وبعد ان تصل الى هذه المرحلة وتتوطد الثقة بينكم ، تعرض عليهم التنظيم والعمل الوطني ، فإذا وافقوك على الانخراط في هذا العمل اعرض عليهم تدمير المستوطنة بالديناميت بحجة انها قائمة على أرض عربية ولا حق لليهود بها .

ـ مروان : هل سندمر المستوطنة ؟ ■

العميل في السجن

راح الضابط جان يشرح لمروان تفاصيل الخطة قائلاً : بعد ان تتفق مع الشبان على القيام بتدمير المستوطنة ، تصنع لهم عدة قنابل محلية اجهزها أنا لهذا الغرض. ثم تحفر انبوبة غاز ، وتقول لهم اننا نريد تفجير المستوطنة وقلع اشجارها واتلافها .

دهش مروان من هذا الحديث فقال : وهل ستكون القنابل حقيقية وتخرب المستوطنة ؟

قال الضابط متذمراً : حقيقية ؟ كيف ستكون حقيقية ؟ هل تريد ان تدمر المستوطنة يا غبي ؟!

- مروان : انت تقول هذا الكلام وانا غير مصدق !
- جان : عليك ان تصدق ذلك ، وتموه على الجماعة .
- مروان : أتقصد اننا سنبطل مفعول هذه القنابل ؟
- جان : نعم . ولكن بطريقتنا الخاصة ، ولن ندعهم يكتشفون ذلك .

ثم اضاف ضابط المخابرات الاسرائيلية : سوف احضر لك المواد والتجهيزات اللازمة في حال موافقتهم ، وسأشرف بنفسي على ابطال مفعول القنابل او ارسل من ينوب عني . ولكن عليك ان تقوم بإقناعهم اولاً ومن ثم نخطط للمرحلة الثانية .

وثق تماماً أنك ستستعيد وجهك الوطني من خلال هذه الخطة ، وسأعطيك مبلغاً كافياً من المال للانفاق على العملية .

تساءل مروان : لم افهم ما علاقة العملية باعادة ثقة الناس بي ؟

قال جان مبتسماً : ستفهم في ما بعد . المهم الآن ، ان تنفذ ما أقوله لك بدقة متناهية .

هدف الخطة

وحسب الخطة المرسومة ، ذهب مروان ليعمل في المستوطنة قرب مدينة الناصرة . وبعد ان قام باستئجار شقة امعاناً في التمويه ، بدأ تدريجياً يكسب ود الشبان البسطاء ، فراح ينفق عليهم مبالغ مالية ، وفي الوقت ذاته اظهر انسجاماً في العمل . وبعد فترة وجيزة حاول ان يخرج الشبان من دائرة العمل من خلال دعواته اياهم الى شرب الشاي والقهوة في الناصرة . فأصبحوا يترددون معه على السينما في اوقات العطل والفراغ .

وبعد ان قطع المرحلة الأولى من الخطة ، التي تتمثل في توطيد العلاقة معهم راح يعزف على الوتر الوطني .

وكان الشبان يمثلون خامة مؤاتية للعمل الوطني ، فوجد لديهم تجاوباً واضحاً وحماسة لأي شكل من أشكال النضال .

وكان مروان قد بلغ السابعة والعشرين من العمر في تلك الفترة من عام ١٩٨٤ . وكان تأثيره كبيراً على المجموعة الصغيرة في السن ذات التجربة المحدودة في الحياة . واستغل العميل حسن ظن هذه المجموعة للإيقاع بأفرادها . وعندما

تأكد من تجاوبهم راح يقطع اغصان الأشجار ويتلف مواسير المياه الخاصة بالمستوطنة ، ويشعرهم بأنه يجب ان يدمر هؤلاء المحتلين الفاشيين .

وسارت الخطة على ما يرام ، فعرض مروان على افراد المجموعة القيام بعملية عسكرية لتدمير المستوطنة وقطع الأشجار ، ووضع العبوات الناسفة في انحاء مختلفة من هذه المستوطنة التي تقام على ارض عربية ولا حق لليهود فيها ، كما لقنه ضابط المخابرات الاسرائيلية .

وابدى الشبان حماستهم للفكرة ، ذلك ان العداء الذي يعتمل في صدورهم تجاه المستعمر قد (وجد متنفساً) وشرح مروان الخطوط العريضة للعملية واتفق معهم على موعد اقصاه شهر للتنفيذ .

وعاد مروان الى الضابط جان وابلغه بما توصل اليه وقال : « كل شيء جاهز والشباب وافقوا على العمل في مدة اقصاها شهر » .

لم يخف جان سروره لهذه النتيجة فقال : انت ذكي وقادر على أي شيء . وسأخبرك عن بقية الخطة التي ستنقذك من شكوك الناس ، وتعيد الثقة بك اكثر من ذي قبل .

استفسر مروان بلهفة عن بقية الخطة قائلاً : « وما هي بقية الخطة ؟ يجب ان نسرع في التنفيذ حتى لا يظن الشباب انني اكذب عليهم » .

ضحك جان وقال : لن تكذب عليهم . اطمئن ، لأننا

سنقوم باعتقال المجموعة ، وستكون انت هذه المرة من ضمنهم وستدخل السجن ؟

لم يصدق مروان ما سمعه فقال بدهشة : ماذا تقـول ؟ هل سأدخل السجن ؟

ـ جان : نعم .
ـ مروان : ولكن لماذا ؟

ـ جان : من اجل ان تكسب وجهاً وطنياً يا عزيـزي وحتى تزول كل الشكوك من حولك وتثبت لأفراد مجموعتك انـك لا تختلف عنهم . كما ستبرهن للمجموعات السابقة الأخرى التي تسببت في دخولها السجن ، ومنهم من لا يزالون فيه الى الآن ، أنك شريف ووطني من خـلال عمليتك الضخمـة .التي كنت تنوي القيام بها . بالإضافة الى ان الناس سيتحدثون عنك وعن بطولاتك . وطبعاً ، الغاية من كل هذه العملية انني سأكلفك بمهمات جديدة داخل السجن . لكن يجب ان تفهم ان من في السجن يختلفون عن المجموعات التي استطعت الايقـاع بها . فـالمعتقلون متمرسـون بـالعمـل العسكـري والأمني وليس من السهل خداعهم . واذا كنت ذكيـاً عن حق تستطيـع الافلات من قبضـة المعتقلين دون ان تدعهم يكشفـون حقيقتك لحـظة واحدة . ولا اخفي عليك اننا فشلنا عدة مرات في دفع رجال لنا الى المعتقلات وكانت النتائج مأسوية .

صمت جان قليلاً ثم تدارك قائلاً : انا لا اريد تخويفـك ، بل ان تكون حذرا للغاية ، فهذه المهمة خطيرة والأمر بحـاجة الى دهاء وشدة انتباه وحذر . وإيـاك الوقـوع في المطبـات التي

تؤدي الى كشفك لأن المعتقلين اذكياء .

ـ مروان : سألعب بعقولهم واخدعهم بذكائي ودهائي فأنت تعرفني جيداً ، وقد اصبحت لدي خبرة طويلة والمعتقلون مهما كانوا اذكياء سيبدون امامي اغبياء .

ابدى جان استياءه من غرور مروان فقال : هذا كلام غير مطمئن .

ـ مروان : لماذا ؟

ـ جان : قد تكون على حق لأنك لا تعرف المعتقلين . واتمنى ان تنجح في مهمتك ولا اطلب منك سوى الحذر . صحيح انني لا أخاف عليك ، فقد اثبت انك رجل قادر في كل المهمات التي اوكلت اليك ، ولكنني اريد منك ان تنفذ كل المهمات المطلوبة منك داخل السجن بذكاء . واكرر ان عليك الحذر والانتباه .

ابدى مروان حماسته مرة اخرى قائلاً : انا مروان ، وسوف تسمع وترى . لكنني اريد ان اعرف كم من الوقت سأمكث في السجن ؟

ـ جان : بضعة اشهر او سنة على اكثر تقدير ، ستحول انت والمجموعة الى قضية مدنية وبعدها ستنقلكم الى سجن الرملة « الشليش » .

ـ مروان : حسناً . لكن كيف ستتم عملية الاعتقال ؟

ـ جان : سأعطيك قارورة الغاز والعبوات الناسفة والمنشار ، وفي الموعد المحدد للعملية ، أي في الليلة المتفق

عليها تنزلون الى المستوطنة وتضع انت العبوات في الأماكن التي سأحددها لك . وستكون هناك دورية من حرس الحدود في احد المخابىء القريبة من موقعكم . ولدى نزولك الى المستوطنة مع مرافقيك الأربعة تجرهم الى الكمين حيث يتم القبض عليكم متلبسين بهذه الجريمة . وهكذا تنتهي الخطة باعتقالكم .

ابدى مروان اعجابه فقال : الخطة جيدة ، ولن يشك احد بي . ولكن ما هي المهمات المطلوبة داخل السجن ؟

ـ جان : سوف نتفق عليها في ما بعد . والآن ، عليك ان تجهز المجموعة خلال اسبوع واخبرني قبل يومين من تحديد ساعة الصفر .

ـ مروان : حاضر .

ـ جان : خذ هذه الفلوس وانصرف .

في الكمين

عاد العميل مروان الى مجموعته ، وبدأ يشد ازرهم ويرفع معنوياتهم ، كما راح يتخلف عن العمل بحجة التجهيز والمراقبة وفي الوقت نفسه كان يجتمع مع الشبان كل يوم لتنسيق العملية الضخمة التي ستدمر المستوطنة . وبعد ان اتفق مع المجموعة على ان تكون ساعة الصفر الساعة الحادية عشرة ليلاً من يوم السبت ، عاد الى الضابط جان وابلغه بالموعد فحدد له موعداً صباح اليوم المقرر للعملية .

وفي الموعد المحدد مع الضابط ، لبس مروان بزة عسكرية للتخفي ، وكان افراد المجموعة آنذاك في بيوتهم . ورسم

الضابط لمروان النقاط والمسالك ومكان الكمين ، ثم قاما بوضع العبوات الناسفة على مدخل المستوطنة .

وإثر ذلك عاد العميل الى مجموعته وابلغها انه وزع العبوات وقام باستئجار سيارة احد معارفه دون ان يشعره بالأمر .

وبعد جلسة مع الشباب قال : كونوا جاهزين هذه الليلة وسنلتقي العاشرة مساء في شقتي ونتوجه من هناك الى المستوطنة .

وفعلاً ، حسب الاتفاق تجمع الشبان في شقته في الناصرة التي لا تبعد المستوطنة عنها سوى بضعة كيلومترات. ومن هناك انطلقوا في احدى السيارات الى أقرب نقطة من المستوطنة ، ثم تسللوا الى موقع العبوات . وحملوا القنابل والمواد المتفجرة وساروا في المسالك التي حددها مروان حسب الخطة . واثناء سيرهم باتجاه المستوطنة اصطدموا بدورية من الجيش الاسرائيلي كان ضمنها الضابط جان بالزي العسكري .

تراجع الشبان الى الوراء ، فأخذ افراد الجيش يطلقون الرصاص في الهواء فتوقفوا بعد ان شاهدوا مروان رافعاً يديه ومستسلماً ، فتم اعتقالهم متلبسين ، فتقدم جان ورافق مروان الى احدى السيارات ، وهناك راح يصيح ويصرخ ليسمع افراد المجموعة انه يتعرض للضرب والتعذيب في « اللاندروفر » العسكرية ، الى ان وصلوا الى مركز التحقيق حيث لم ينفعهم الانكار ، فقد ضبطوا متلبسين وحكم عليهم بالسجن .

مهمات داخل السجن

قبل ان يدخل مروان الى السجن ، قابله جان وقال له :

عليك ان تكون حذراً ونبيهاً لأنك سوف تقوم بمهمة جديدة بين المعتقلين .

ـ مروان : ما هي ؟

ـ جان : ستدخل الى سجن الرملة لأن قضيتك حصلت داخل مناطق ١٩٤٨ ، وسوف تمكث هناك اسبوعين . والسجناء من اليهود . والمطلوب منك ان تتعرف عليهم وتعرف منهم اين مخابىء الحشيش وكيف يتم تهريبه من شباك الزيارة ومن هم الأشخاص الذين يأتون به الى السجن .

وفعلاً تحول مروان الى سجن الرملة حيث نزل بين السجناء اليهود المدنيين الذين لم يأمنوا جانبه . وبعد ايام بدأت علاقته تتوطد بهم فطلب منهم ان يزودوه بالمخدرات ، ولكنهم اخبروه انها غير متوافرة لديهم .

وبعد ايام قليلة احضر السجناء قطعة من الحشيش وراح مروان يسرد لهم مغامراته في عالم المخدرات . فتعززت ثقتهم به وباتوا يخرجون امامه الحشيش من المخبأ ، وبدأ يتعرف على كيفية الحصول عليه واسماء الأشخاص الذين يهربونه الى السجن .

وبعد يومين كان موعد قدوم بعض الأشخاص اليهود من حيفا والقدس لتهريب الحشيش الى داخل السجن . وكان مروان على اطلاع على تفاصيل العملية وكان هو قد ابلغ الادارة بموقع مخابىء المخدرات داخل الغرف ، فقامت الشرطة بمداهمة هذه الغرف وصادرت كميات كبيرة من الحشيش .

بعد هذه الحادثة ، اتخذ السجناء اليهود قراراً خطيراً يتعلق

بمروان وقرروا قتله داخل السجن . وتأكدت المخابرات الاسرائيلية ان مروان قادر على اختراق المعتقلين الفلسطينيين في السجون الأخرى ، وقررت نقله الى سجن جنين كمرحلة ثانية . وقال له ضابط الأمن في سجن الرملة : ستعود الآن الى سجن جنين وهناك ستنسق مع صاحبك جان .

سجن جنين

انتقل مروان الى سجن جنين وهناك اجتمع مع الضابط جان وضابط امن السجن .. فقال له الأول : الآن سأحدد لك المهمات التالية التي ستنفذها داخل هذا السجن . فالمطلوب منك ان تتحدث عن القضية الفلسطينية باستمرار ، والتبجح بأعمالك الوطنية التي قمت بها على مسمع من المعتقلين الجدد ، لجرهم الى التحدث عن الأعمال التي لم يعترفوا بها اثناء التحقيق وذلك بطريقة ذكية وغير مباشرة . وعليك ان تحرض باستمرار ضد المسؤولين في القسم وجعل المعتقلين الجدد يبتعدون عنهم ، كما عليك ان تقدم لي اسماء جميع المسؤولين التنظيميين في القسم والغرفة . ثم اضاف : وهنالك مهمة أخرى ، وهي سرقة الكبسولات التنظيمية لنعرف من يكتبها وما فيها وكيف يتم تهريبها خارج السجن ، وكيف تدخل الى السجن .

واخرج جان واحدة من هذه الكبسولات ليتعرف مروان على شكلها ، وهي عبارة عن ورقة ملفوفة حجمها مثل حجم كبسولة الدواء . فبعد ان يتم لفها بشكل دقيق تغلف بقطعة من البلاستيك الخفيف ويتم احراق طرفيها بنار خفيفة بحيث تلتحم لتصبح محكمة الأغلاق ولا تتأثر حتى بالماء لو وضعت

فيه . والورقة التي تكون داخل الكبسولة صغيرة الحجم ومكتوبة بخط صغير للغاية وتحتوي عادة على المعلومات والقضايا التنظيمية والسياسية المراد اخراجها من داخل المعتقل ، وهي اداة الاتصال بين المعتقلين في مختلف السجون الاسرائيلية ، فالعلاقة وطيدة بين المعتقلين في هذه السجون التي تبعد عن بعضها البعض عشرات الكيلومترات ، وهنالك قضايا تعمم على كافة المعتقلات . كما ان التوجيهات والتعليمات والشؤون الأمنية والتنظيمية التي تأتي من القيادة الفلسطينية في الخارج تصلهم بهذه الطريقة ، وتمر بمراحل وطرق معقدة لكنها سريعة لا تتجاوز الاسبوع او الاسبوعين . وفي احيان كثيرة يتم ايصال المعلومات اللازمة خلال ايام معدودة . كما ان المعتقلين الفلسطينيين في السجون الاسرائيلية ، ليسوا كما مهملاً كما يخيل للبعض وفيهم قوة تمارس واجبها من داخل المعتقل . ولعل كافة فصائل منظمة التحرير الفلسطينية لها عناصر داخل المعتقلات الاسرائيلية ، وكل فصيل فلسطيني نظم عناصره عبر لجان مختلفة كاللجنة المركزية واللجنة الادارية واللجنة الأمنية . . الخ . وهذه اللجان يتم التنسيق بينها داخل المعتقل الواحد ومن ثم على مستوى كافة المعتقلات .

والتنظيم يبدأ على مستوى الغرفة داخل السجن التي تضم ما بين ١٢ و٣٠ معتقلاً من مختلف التنظيمات ، ولكل غرفة مسؤول منتخب . كما هناك القسم الذي يضم عدة غرف ومن ثم المعتقل الذي ينتخب مسؤولاً عنه بالاقتراع .

والمعتقلات الاسرائيلية تحولت الى مدارس وطنية ، فالشبان

المعتقلون الذين ادخلوا السجن والذين لا ينتمون تنظيمياً الى احد الفصائل الفلسطينية بسبب اعمال وطنية فردية قاموا بها ، يتم تأطيرهم حسب قناعاتهم . كما ان هناك توجيهاً معنوياً داخل كل غرفة في المعتقل .

وهكذا راح الضابط جان يشرح لمروان طبيعة المهام التي سينفذها داخل السجن قائلاً : عليك ان تثير المشاكل بين افراد الفصائل داخل السجن باستمرار عن طريق التهجم عليهم وشتمهم ونقل احاديث كاذبة بينهم . كما عليك استلام أي مهمة تنظيمية توكل اليك بحيث تكون مسؤولاً عن الغرفة واثارة المشاكل والفوضى والتفرقة بين المعتقلين . كذلك ، ستحضر الجلسات التنظيمية ، وهذه مسألة مهمة . وعليك اثناء الجلسات ان تحكي النكات وتقهقه بتمزيق الكراسات الحركية التي يكتبون فيها محاضر الجلسات .

ـ مروان : سأعمل كل ذلك ؟

ـ جان : لم ننته بعد . عليك ان تشكك بالمسؤولين التنظيميين وتتهمهم باستمرار بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية . كما باستطاعتك نشر اعمال لا اخلاقية بين المعتقلين واتهام الآخرين بذلك . وتستطيع كتابة اوراق تثير القلاقل بين السجناء تضعها داخل الخزائن ويجب ان تظهر بالمظهر الوطني وكانسان مرح ضحوك حتى يحبك الجميع .

ـ مروان : كيف سأتصل بك ؟

ـ جان : ستتصل بزميلي باستمرار اما عن طريق خروجك لمقابلة الطبيب او لمقابلة الصليب الأحمر او لمقابلة المحامي اثناء

الـزيارة . وستكـون هناك وسيلة اتصـال أخـرى كـأن تكتب اوراقـاً وترميهـا في الممر بـين الغرف . وسـأحدد لـك شرطيـاً يأخذها منك . وعليك ان تكون حـذراً جداً ، واذا استـدعى الأمر وحصلت على معلومات عاجلة ، باستطاعتـك التمارض والذهاب الى العيادة لأخبارنا بكل شيء ، وخاصة التحقيقات التي تحصل داخل المعتقل . والآن اذهب الى غرفتك ■

اعدام العميل خنقا

عممت اجهزة الرصد الفلسطينية ، بعد الأحداث الماضية ، اسم مروان حمدي على اللجان الأمنية في المعتقلات ، اذ كانت تتوقع قيام المخابرات الاسرائيلية بدفعه الى المعتقلات في الداخل ، كما سبق ، او الى الخارج في مواقع اخرى . وما ان دخل العميل الى الغرفة حتى استقبله المسؤول وراح يتحدث معه ويستفسر منه عن ظروف اعتقاله وحياته السابقة . وسرد مروان « بطولاته » و« صولاته » و« جولاته » الوهمية مما جعل مسؤول الغرفة يشك في امره . وبطريقة غير مباشرة ودون ان يشعر مروان تبادل مسؤول الغرفة مع المسؤول الأمني كلاماً هامساً وسرعان ما صعق الرجل عندما سمع الاسم فاتفق مع مسؤول الغرفة على التمويه على مروان واقناعه بأنهم يثقون فيه . وعمم المسؤول الأمني على افراد الغرفة اتخاذ الحذر من هذا القادم الجديد ، ولكن بسرية مطلقة .

وراح مروان ينفذ المهمات التي اوكلتها اليه المخابرات الاسرائيلية . ولم تكن اساليبه خافية على المعتقلين ، وحاول استدراجهم لمعرفة التفاصيل التي لم يذكروها في التحقيق ، وبدأ « يهرج » ويثير الفوضى كما امره جان وكان يقدم تقاريره الى ضابط امن السجن الذي كان يفاجأ بأن معلومات مروان

تافهة ولا تستحق الذكر . وتساءل هذا الضابط في البداية عن كيفية اهتمام زميله جان بهذا العميل الذي كان يصفه باستمرار انه من أهم عملاء المخابرات الاسرائيلية ، في حين كان بعض رؤساء جان يتفهمون حماسته لمروان، لأنه تلميذه ، على ان كل ضابط يتحمس لقضيته وكان جان يعتبر المسألة شخصية في احيان كثيرة ، لأن نجاح عميله يعني نجاحه ، وفشل العميل يعني فشله .

بعد فترة من تزويد مروان ضابط الأمن بالمعلومات التي حصل عليها ، بدأت الشكوك تحوم حول هذه القضية . فقد تساءل الضابط قائلاً لمروان : هل شك احد بك في الغرفة ؟ فرد مروان : إنني اضحك عليهم ، فهم اغبياء ويحدثونني عن كل شيء كما ترى ، وانها مسألة ايام فقط وسأصبح مسؤولاً في السجن . فقال الضابط بامتعاض : اتمنى ان يكون ما تقوله هو الواقع . لكن هذا الواقع مختلف على ما يبدو من كلامك الفارغ واسمعني فالواضح ان المعتقلين لم يثقوا بك ، اما لأنك لا تزال جديداً او ـ وهذا ما لا اتمناه لعلهم قد شكوا فيك ، او لديهم معلومات عنك .

قال مروان بدهشة : ماذا تقول ؟ لكنهم طبيعيون جداً معي ، ويحبونني ويحدثونني عن كل المعلومات المفيدة .

ـ الضابط : هذه معلومات جيدة بالنسبة اليك لأنك تجهلها ، لكننا نعرفها ، وقد وردت في التحقيق . وما نبحث عنه لم تأت منه بشيء .

حاول مروان ان يطمئن الضابط ، لكن الأخير كان غير

مقتنع بما يقوله فراح يوجهه حول كيفية التصرف وكسب ثقة المعتقلين .

عاد مروان الى الغرفة فيما كلمات الضابط ترن في اذنيه ، ولم يكن مقتنعاً بما قاله له فردد في نفسه وهو يدخل الى الغرفة ان الضابط غبي وسيعرف ان مروان ليس انساناً عادياً ، فأين انت يا جان حتى ترى غباء زميلك ؟

ومنذ دخول مروان الى سجن جنين قام مسؤول الأمن في الغرفة ، بإرسال معلومات حوله الى اللجنة الأمنية في المعتقل ، التي ارسلت بدورها المعلومات الى اللجنة الأمنية في كافة المعتقلات ، ومنها الى الأجهزة الفلسطينية ، وذلك لابداء الرأي واستشارتها في قرار اخطر بكثير ومن اجل الحصول على اجابة عن هذه القضايا . واستغرقت العملية بعض الوقت ، لكن القرار الأول جاء خلال عشرة ايام من اللجنة الأمنية العليا للمعتقلات وفيه وجوب التحقيق مع العميل في الغرفة .

التحقيق مع مروان

لم يكن احد في الغرفة يعلم على الاطلاق بما يجري سوى المسؤول الأمني ومسؤول الغرفة . وفي الليل كان مروان يجلس اجبارياً في زاوية ويتولى اثنان التحقيق معه بينما كان الآخرون يجلسون بشكل عادي . وكانت مفاجأة مروان كبيرة بهذا التطور وراح يلوم نفسه على اللحظة التي وافق فيها على الدخول الى السجن . إلا انه لم يلم نفسه على التعامل مع المخابرات الاسرائيلية . وحاول المراوغة والكذب فذكر بأعماله الوطنية ، لكن المحقق حاصره وضغط عليه ، ولم يكن باستطاعته

الاستنجاد بادارة السجن لسببين : الأول انه سيكشف نفسه امام المحقق ويؤكد التهمة المنسوبة اليه وكان هو يحاول نفي التهمة . والسبب الأهم ، انه لو حاول ذلك قبل ان تتدخل ادارة السجن ويفتح باب الغرفة لكان قد اعدم .

وبعد ان ضيق المحقق الخناق عليه في حين كان المسؤول الآخر يكتب محضر التحقيق ، ابدى استعداده للاعتراف . . . ولكن بشروط . وزادت الضغوط فانهار العميل كلياً ، وراح يتحدث عن تجنيده لصالح المخابرات الاسرائيلية وفترة تعامله معها بين ١٩٧٢ و١٩٨٤ . وكشف بالتفصيل عن كافة الجرائم التي ارتكبها بدءاً من المجموعات التي قام بتسليمها الى المخابرات الاسرائيلية الى عملية التجنيد والتصوير والابتزاز وانتحار سمية وصالون « الشروق » وتسميم المياه في مدارس البنات في جنين .

وكان ملف التحقيق حافلاً بالجرائم . وبعد الانتهاء منه ارسل المسؤول الأمني على وجه السرعة تقريراً من نسختين ، واحدة الى الأجهزة الفلسطينية في الخارج والأخرى الى اللجنة الأمنية العليا للمعتقلات . وفي الوقت نفسه راح هذا المسؤول يطمئن العميل ، ويوهمه بأنه سيعيده الى الصف الوطني في انتظار وصول التعليمات . كما حاول مروان ان يظهر حسن نواياه امام المعتقلين مدعياً انه ارتدع وعاد الى الخط الوطني . ولكن هذه الحيل لم تنطل على زملائه .

بعد ان ادلى العميل باعترافاته انتظر فرصة زيارة الأهل ليقوم بالهرب من خلال تسليم نفسه الى ادارة السجن . لكن المعتقلين طالبوا به عدة ايام وبذلوا جهوداً مكثفة لذلك . وفي

تلك الفترة سربت المخابرات الاسرائيلية معلومات الى المعتقلين بأن مروان مضرب عن الطعام وانه يريد العـودة الى غرفتـه . وبعـد اسبوع من بـذل المعتقلين جهوداً كبيـرة لاعـادة مـروان وافقت ادارة السجن بعد انْ وضعت شروطاً منها تعهد المعتقلين بعدم اصابته بمكروه . ومـا ان عاد مـروان الى الغرفـة ، حتى بدأت اللجنة بالتحقيق معه ثانية فأدلى بمعلومات قيمة مفادهـا انه لم يكن مضرباً عن الطعام وان المخابرات الاسرائيلية كانت تسرب هذه المعلومات من اجل ان يطالب به السجناء .

بين الضابط والعميل

وقبل ان يعود مروان الى الغرفة ، اجتمع به الضابط جـان وكان مستاء جداً مما حصل ، فقال : ألم أقل لك انهم ليسوا كما تتصور ، ويجب ان تأخذ جانب الحذر ، فيما كنت تقول لي انهم اغبيـاء ؟ لقد حـدثتك ان محـاولاتنا لاختـراق المعتقلين انتهت بمأساة . هل تفهم ما معنى هذا الكلام ؟ لقد قتلوهم . والمسألة خطيرة للغاية يا جاهل !

قال مروان وهو يطرق برأسه : لقد اعترفت بكل شيء !

ـ جان : ماذا تعني بكل شيء ؟

ـ مروان : بكل شيء .

صاح به جان قائلاً : انت غبي . . . غبي .

ـ مـروان : لست غبياً ، لكنهم كـانوا يعـرفون عني اشيـاء كثيرة .

ـ جان : وهل ذكرت قضية تسميم الطالبات في المدارس ؟

ـ مروان : نعم .

ـ جان : وصالون « شروق » ؟

ـ مروان : نعم . لا تتعب نفسك . كل شيء .

ـ جان : ليتهم قتلوك حتى ارتاح منك انك غبي وما حصل خطير للغاية . لماذا هربت ؟

ـ مروان : خفت على نفسي .

ـ جان : أتخاف على نفسك بعد ان دمرتنا ؟ اسمع . سأعيدك الى الغرفة وسأعد لك خطة كي تستعيد وجهك الوطني .

بدا مروان خائفاً وهو يقول : لا اريد وجهاً وطنياً . . هذا الوجه الذي تبحث عنه سيقتلني . ارجوك .

ـ جان : هذا ليس مهماً عندي ، وسأعد لك خطة فتعود اليهم وتنفي قضيتين اساسيتين تشكلان خطورة بالغة على المخابرات الاسرائيلية . هل تفهم ؟ يجب ان تنفي ما ورد في التحقيق حول قضية تسميم الطالبات في المدارس وفضائح صالون « شروق » . كما يجب عليك ان تظهر للشباب رغبتك في الاصلاح كي تكسب الوجه الوطني حتى لا ينشر هذا التحقيق في الخارج . وستستمر في علاقتك بالمخابرات الاسرائيلية وتنفيذ المهمات المطلوبة . وحاول جهدك كي ينقلك التنظيم الى مرافق العمل داخل السجن وهو ما سيحصل عندما تبدي حسن نواياك .

تردد مروان وقال : ألا تستطيع ان تعفيني من هذه المهمة ؟

ـ جان : أي مهمة ؟

ـ مروان : العودة الى السجن . لقد سئمت .

قال جان بلهجة جافة : سئمت ام خائف ؟ كنت احذرك فلا تسمع كلامي ، انت طائش . كيف سأعفيك من هذه المهمة بعد ان خربت بيتنا وقلت كل شيء في التحقيق ؟ يجب ان تعود وتنفي القضايا التي ذكرتها لك . هل فهمت ؟

ـ مروان : كما تريد .

في تلك اللحظة عرف العميل قيمته الحقيقية وانه لا يساوي أكثر من رقم في سجلات المخابرات الاسرائيلية ، وان هذه المخابرات تستنزفه حتى آخر لحظة حتى ولو اودى ذلك بحياته . وهنا راح يشتم اليوم الذي عمل فيه لصالح المخابرات الاسرائيلية ضد ابناء شعبه وارتكب كل هذه الجرائم لكن ماذا يفيد الندم فيما الحبل يلتف على رقبة المجرم ؟ إنه ندم الخوف من العقاب لحظة العقاب .

وعاد مروان الى الغرفة واجري معه التحقيق الثاني ، فأدلى باعترافات كاملة وكشف خطة جان الأخيرة حول نفي قضايا تسميم الطالبات وفضائح صالون « شروق » . ثم راح يتوسل لجنة التحقيق قائلاً : من الآن فصاعداً سأكون ابناً مخلصاً لفلسطين فلم يبق لي شيء اعمل به بعدما افتضح امري وارجو ان تسامحوني . وقال له المحقق : وهل تسامحك سمية والطالبات اللواتي قمت بتسميمهن في المدرسة وكذلك المجموعات التي اعتقلت والفتيات الفلسطينيات اللواتي اسأت الى سمعتهن ؟

ـ مروان : اطلب العفو منكم .

ـ المحقق : سنرى في ما بعد .

وفي صباح اليوم التالي ، ادرك مروان ان حيله لم تنطل على الشباب . كما ادرك ان نهايته محتومة . ولكن المعتقلين لم يحاولوا ايذاءه طوال هذه الفترة . غير انه تناول ملعقة وراح يضرب نفسه بها ويصيح فجاءت شرطة السجن واخذته من الغرفة . وبدأت حملة مجددة من المعتقلين لمطالبة ادارة السجن به . وهناك كان جان يصيح في وجهه قائلاً : لماذا فعلت بنفسك هكذا ؟

ـ مروان : لا استطيع ان ابقى في الغرفة ، فأنا اعيش على اعصابي . دعني من السجن ارجوك . لا اريد ان اعمل مع المخابرات الاسرائيلية بعد الآن ، ولا مع احد . اريد ان ارتاح .

ـ جان : انا اقرر هذا الأمر وليس انت .

ـ مروان : اذا بقيت في السجن سأقتل .

ضحك جان بخبث وقال : انت تبالغ يا عزيزي . هل تعرضت لأي مكروه من جانب المعتقلين ؟ أنت ضربت نفسك بالملعقة .

ـ مروان : ولكن الأمور ليست طبيعية .

ـ جان : وماذا تريد مني ان افعل ؟

ـ مروان : ان استريح . لقد تعبت ولا اريد السجن .

ـ جان : كل ما استطيع ان افعله معك هو ان انقلك الى سجن آخر لتقوم بما طلبته منك هنا في سجن جنين .

ـ مروان : سجن آخر !

ـ جان : لا تخف . فلن يستطيعوا ايذاءك وانا احميك .

ـ مروان : لن تستطيع .

ـ جان : ماذا تقول ؟

ـ مروان : انهم حكومة . دولة داخل السجن . يسيطرون على كل شيء . تحقيق ولجان وحلقات وتقارير .

ـ جان : هذا كلام فارغ . لا تخف .

الى سجن الرملة

استمرت مطالبة المعتقلين في سجن جنين باعادة العميل اليهم مدة اسبوع ، ثم قامت المخابرات الاسرائيلية بنقله الى سجن الرملة في قسم المعتقلين السياسيين الفلسطينيين . وما ان ادخل الى الغرفة حتى خضع للتحقيق مجدداً فقد قام سجن جنين بتعميم وضعه على بقية المعتقلات . وكانت الأجهزة الفلسطينية قد اصدرت قرارها باعدامه بالتنسيق مع القوة ١٧ ، داخل السجن ، وقد تحفظ المعتقلون في سجن الرملة عن مروان عدة ايام في انتظار وصول ثلاثة من الشباب من القوة ١٧ من سجن عسقلان في اطار التنقلات الدورية بين المعتقلات .

ووصل المعتقلون الثلاثة الى سجن الرملة وهم ابو ايمن وابو ابراهيم وابو علي . وكان الثلاثة محكومين بالأشغال الشاقة المؤبدة . وما ان دخلوا الى الغرفة حتى اجتمعوا مع المسؤول الأمني وتباحثوا بشأن القرار الصادر باعدام مروان . ولم يكن العميل يدري بما يجري على الاطلاق ، واعتقد ان المسألة ستسير بشكل عادي . في تلك الليلة ، وضع مروان في زاوية الغرفة ، فاعتقد ان الأمر يتعلق بتحقيق جديد . لكنه فوجىء

بأحد الرجال ـ وقد شاهده لأول مرة ذلك اليوم في الغرفة ـ وهو يقول له : ما رأيك في من يقوم بمثل هـذه الأعمال الاجـرامية ضد شعبه ووطنه ؟ وما هو الحكم عليه في نظرك ؟

اطـرق العميل بـرأسه وقـال : الاعدام . . . لكنني اطلب العفو . اجابه احدهم : العفو مرفوض .

تناول الرجال رباط حذاء وانقضوا على مروان وشدوا الربط على عنقه حتى مات خنقاً .

وقـامت المخابـرات الاسرائيليـة بالتحقيق مـع المعتقلين في الغرفة لمعرفة القاتل ، فـاتفق الثلاثـة على ان يعتـرف احدهم بقتله . وفعـلاً قام احـدهم بـالاعتـراف حتى يبقى الآخـرين بعيـدين عن القضية وصـدر حكم المحكمة الاسـرائيليـة عـلى الشاب الذي تبرع بالاعتراف نيابة عن زملائه بالأشغال الشاقة المؤبدة . وكان محكوماً اساساً بالأشغال المؤبدة ، وهكذا صـار عليـه حكمان مـدى الحيـاة . ورفعت اللجنـة الأمنيـة العليـا للمعتقلين كـافـة محـاضر التحقيق وتنفيـذ حكم الاعــدام الى الأجهزة الفلسطينية في الخارج .

وفي آخـر عملية تبـادل اسرى تمت بـين منـظمـة التحـريـر الفلسطينية واسرائيل اعطت الأجهزة الفلسطينية الأولوية لهؤلاء الثلاثة وتم تحريرهم . وبقي احدهم في الأرض المحتلة يواصل نضاله ضد الاحتلال وتم اعتقاله مرة اخرى وهـو يقضي الآن فتـرة حكم جديـدة بالسجن في حـين التحق الاثنان الآخـران بمنظمة التحرير في الخارج .

* * *

وبعد اقل من ثلاث سنوات على اعدام مروان وبدء الانتفاضة في الأراضي العربية المحتلة ، قامت الوحدات الضاربة بمطاردة العملاء الذين تفرقوا بعد تفكيك الشبكة التجسسية التي انشأها الضابط جان والعميل مروان وتم اعدام معظمهم باستثناء الذين مارسوا دوراً وطنياً من خلال الشبكة وقاموا باختراق النشاط التجسسي لدى المخابرات الاسرائيلية ■

عبدالله عيسى

المصيدة

قصة واقعية ، من ملفات المخابرات الفلسطينية ، تعطي صورة حقيقية عن الدور الاسرائيلي في العديد من الأحداث المعروفة والتي في كثير من الأحيان حاول الاعلام الاسرائيلي الصاق التهم الباطلة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وهذه قصة جاسوس تضعه المخابرات الاسرائيلية في احد المعتقلات للتجسس على المساجين . هناك يكتشف المساجين من عناصر المخابرات الفلسطينية أمره فيحاكمونه ويعدمونه ، وما ضرهم وهم المحكومون بالسجن مدى الحياة !!

هذه الحلقة من حلقات المواجهة بين منظمة التحرير الفلسطينية واسرائيل انقلبت عكسياً لصالح المخابرات الفلسطينية التي اخترقت الموساد وقامت بتضليله لفترة طويلة .

وهي تسجل وقائع الحرب السرية بين المخابرات الفلسطينية والموساد منذ منتصف السبعينات وحتى الغزو الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ، ساقية الجنزير ، بناية
برج الكارلتون ، ص.ب : ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي : موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

الغلاف : زهير أبو شايب